

الْحِصْنُ الْأَمِينُ الْمَأْمُونُ

لِلطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ

تَأْلِيفُ

طارق بن سعيد بن عبد الله القحطاني

دار الأمامة مسقط

مركز دعوة الشيخ الإسلامي

الْخِصْبُ إِصْرٌ الْمَثُورَةُ
لِلطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ

جَهْوُونُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، ١٤٤٢ هـ (ح)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القحطاني، طارق سعيد عبد الله
الخصائص الماثورة للطائفة المنصورة / طارق سعيد عبد الله القحطاني.
- المدينة المنورة، ١٤٤٢ هـ
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٨٧-٦٠-٦
أ. العنوان ١- العقيدة الإسلامية
١٤٤٢-١١٩٥ ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٤٢-١١٩٥

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٨٧-٦٠-٦

الطبعة الأولى
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع

طباعة - نشر - توزيع

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة
شارع الفيصلية - خلف الجامعة الإسلامية

00966532627111
00966590960002



daremslm@gmail.com



daremslm

مركز سطور للدراسات والبحوث

Sutor.center@gmail.com

بحث علمي - طباعة - صف - تنسيق - تصميم

الْحِصْنُ الْأَمِينُ الْمُنِيرُ

لِلطَّائِفَةِ الْمُنْصُورَةِ

تَأْلِيفُ

طارق بن سعيد بن عبد الله القحطاني

دار الإمامين

مركز سيرة النبي العالمي



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، قال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

أما بعد :

فإن الله اختص هذه الأمة من بين الأمم السابقة، فقال - تعالى - : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

واختص أهل السنة والجماعة من بين فرق الأمة؛ لتكون الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى يوم القيامة، فهم المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب، تلقاه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ

نقيا صافيا غاية الصفاء، فأخذه عنهم التابعون لهم بإحسان فاستحقوا به مراتب الشرفاء والعظماء، ولهذا يجب على طالب العلم أن يلزم غرزهم، ويكون في ركبهم، غير متخلف عنهم، وفي هذا الكتاب ذكرت جملة من خصائصهم، راجيا القبول من الله، وأن ينفع به الطلاب والقراء، وقد جعلته على النحو الآتي:

الفصل الأول: التعريف بالخصائص وبأهل السنة وأسمائهم وألقابهم عندهم وعند مخالفيهم:

المبحث الأول: معنى الخصائص، والمراد بها.

المطلب الأول: معنى الخصائص لغة.

المطلب الثاني: معنى الخصائص اصطلاحا.

المطلب الثالث: المصطلحات المترادفة.

المبحث الثاني: التعريف بالسنة وأهلها.

المطلب الأول: تعريف السنة عند المحدثين والفقهاء والأصوليين.

المطلب الثاني: نشأة مصطلح أهل السنة، وذكر من أطلقه من

السلف ومرادهم به.

المطلب الثالث: أسماء أهل السنة وألقابهم المرضية الواردة في

النصوص، ودفع الباطل عنها.

المطلب الرابع: الألقاب التي نيز بها أهل البدع أهل السنة، والرد عليهم.

الفصل الثاني: خصائص أهل السنة.

المبحث الأول: خصائص أهل السنة المتعلقة بالتسمية.

المبحث الثاني: خصائص أهل السنة في مصادر التلقي.

المطلب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة.

المطلب الثاني: العناية بالإسناد.

المطلب الثالث: اعتماد فهم السلف للنصوص، واعتقاد أنه أسلم وأحكم.

المطلب الرابع: اعتبار العقل مؤيدا للنصوص لا معارضا ولا مستقلا.

المبحث الثالث: خصائص أهل السنة في منهج الاستدلال.

المطلب الأول: الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة.

المطلب الثاني: ترك المراء والخصومات والجدل المذموم.

المطلب الثالث: عدم التفريق بين خبر الآحاد والمتواتر في العقيدة وغيرها.

المطلب الرابع: التزام النص وطرح التأويل المذموم.

المطلب الخامس: الالتزام بالألفاظ الشرعية وترك الألفاظ المجملة والاستفصال في المطلق منها.

المبحث الرابع: خصائص أهل السنة في باب التوحيد.

المطلب الأول: حرصهم على التوحيد ونشر العقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: البداءة بالتوحيد.

المطلب الثالث: اتباع السنة والدعوة إليها، واجتناب البدع والتحذير منها.

المبحث الخامس: خصائص أهل السنة في باب الجماعة والائتلاف.

المطلب الأول: الاتفاق في الأصول على امتداد الزمن واختلاف الأمكنة.

المطلب الثاني: موالاتهم ومعاداتهم على أساس الدين.

المطلب الثالث: المحبة والرحمة بينهم.

المطلب الرابع: اجتناب التبديع والتكفير لبعضهم بعضا وحرصهم على الألفة والاجتماع ونبذ الفرقة.

المبحث السادس: خصائص أهل السنة في باب الإمامة.

المطلب الأول: يعتقدون وجوب السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية.

المطلب الثاني: يحرمون الخروج على الإمام المسلم ويحذرون من ذلك، ويصبرون على جور السلطان ويرون الصلاة خلفه والجهاد معه براءً كان أو فاجراً.

المطلب الثالث: يرون جمع الكلمة على الإمام مع وجوب النصح له، الدعاء للإمام بالصلاح والسداد.

المبحث السابع: خصائص أهل السنة في باب معرفة الحق والثبات عليه.

المطلب الأول: أعرف الناس بالحق والحرص وأعظمهم صبراً وثباتاً على الحق.

المطلب الثاني: أنهم القائمون بنقل الدين وحفظه والدعوة إليه.

المطلب الثالث: هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة.

المبحث الثامن: خصائص أهل السنة في العبادة والسلوك.

المطلب الأول: التمسك بالسنة ومجانبة البدع.

المطلب الثاني: تقديم الفرائض على النوافل لا العكس.

المطلب الثالث: الاعتدال والبعد الغلو والجفاء.

المطلب الرابع: التحلي بأخلاق الشريعة وآداب الإسلام.

الفصل الثالث: وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق وخصائص عقيدتهم.

المبحث الأول: تعريف الوسطية.

المطلب الأول: معنى الوسطية في اللغة والشرع.

المطلب الثاني: وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق وأبرز مظاهرها.

المبحث الثاني: خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة.

المطلب الأول: سلامة مصدر التلقي.

المطلب الثاني: التسليم لله ولرسوله ﷺ.

المطلب الثالث: الموافقة للفطرة والعقل السليم.

المطلب الرابع: الثبات والاستقرار والسلامة من الاضطراب.

المطلب الخامس: هي سبب النصر والظهور والتمكين.

المطلب السادس: سبب للطمأنينة والراحة النفسية.

وأسأل الله العلي الغفار الحي القيوم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين والمؤمنات، وأن يدركني برحمته ورأفته منازل الأبرار، وصلى الله وسلم على نبيه وصحبه الأبرار.



الفصل الأول:

التعريف بالخصائص وبأهل السنة وأسمائهم واللقابهم عندهم وعند مخالفيهم

المبحث الأول: معنى الخصائص، والمراد بها.

المطلب الأول: معنى الخصائص لغة.

المطلب الثاني: معنى الخصائص اصطلاحاً.

المطلب الثالث: المصطلحات المترادفة.

المبحث الثاني: التعريف بالسنة وأهلها.

المطلب الأول: تعريف السنة عند المحدثين والفقهاء
والأصوليين

المطلب الثاني: نشأة مصطلح أهل السنة، وذكر من أطلقه
من السلف ومرادهم به.

المطلب الثالث: أسماء أهل السنة وألقابهم المرضية الواردة
في النصوص، ودفع الباطل عنها.

المطلب الرابع: الألقاب التي نيز بها أهل البدع أهل السنة، والرد
عليهم.

المبحث الأول: معنى الخصائص، والمراد بها

المطلب الأول: معنى الخصائص لغة.
المطلب الثاني: معنى الخصائص اصطلاحاً.
المطلب الثالث: المصطلحات المترادفة.



المطلب الأول: معنى الخصائص لغة

أصل الكلمة خصّ، ويقال: (خصه بالشيء يخصه خصاً وخصوصيةً إذا فضله به، وخصه بالودّ كذلك)^(١)، ويقال: (اختصّ فلانٌ بالأمر وتخصّصَ له إذا انفرد، وخصّ غيره واختصّه ببرّه)^(٢)، (والخصوص: التفرد ببعض الشيء مما لا تشاركه فيه الجملة)^(٣).

المطلب الثاني: معنى الخصائص اصطلاحاً

هي الصفات والسمات التي تميّز الشيء وتُفضّله عن غيره^(٤)،

(١) جمهرة اللغة (١/ ١٠٥). (٢) لسان العرب (٧/ ٢٤).

(٣) تاج العروس (١٧/ ٥٥١).

(٤) ينظر: خصائص أهل السنة والجماعة، صالح الدخيل (ص: ٣٠).

فمعنى خصائص أهل السنة، أي: ما تميّزوا به عن غيرهم من الفرق في جميع أبواب الدين.

المطلب الثالث:

المصطلحات المترادفة

١- السمة: ترجع إلى مادة (وسم) وهو أثر الكي، ويقال: وسّمه وسّماً وسِمةً إذا أثر فيه بسِمةٍ وكَيّ، والهاء: عوض عن الواو، والسمة العلامة، يقال: واتّسم الرجل إذا جعل لنفسه سِمةً يُعرَف بها^(١).

٢- المنهج، هو: (القانون أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية)^(٢).

٣- القواعد، والقاعدة: في اصطلاح العلماء هي: (القضايا الكلية التي تعرف بالنظر فيها قضايا جزئية)^(٣). أو هي: (القضية الكلية المنطبقة على مسائل أكثر من باب)^(٤).



(١) ينظر: لسان العرب (١٢ / ٦٣٥).

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان حسن (١ / ٢٠).

(٣) شرح مختصر الروضة (١ / ١٢٠).

(٤) القواعد العقدية عند أهل السنة والجماعة (ص: ٥٨).

المبحث الثاني: التعريف بالسنة وأهلها

المطلب الأول: تعريف السنة عند المحدثين والفقهاء والأصوليين.
المطلب الثاني: نشأة مصطلح أهل السنة، وذكر من أطلقه من السلف ومرادهم به.
المطلب الثالث: أسماء أهل السنة وألقابهم المرضية الواردة في النصوص، ودفع الباطل عنها.
المطلب الرابع: الألقاب التي نبز بها أهل البدع أهل السنة، والرد عليهم.



المطلب الأول:

تعريف السنة عند المحدثين والفقهاء والأصوليين

يتفق جميع العلماء سواء أكانوا علماء حديث أم أصوليين أم فقهاء على أن السنة تضاف إلى النبي ﷺ، وإنما وقع الاختلاف بينهم في التفصيل والتحديد؛ ومرد هذا الاختلاف في المعنى الاصطلاحي للسنة إلى اختلافهم في الأغراض التي يُعنى بها كل فئة من أهل العلم^(١)، ولذلك سأذكر تعريفات العلماء على النحو الآتي:

(١) ينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم (ص: ٣٠) توجيه النظر إلى أصول الأثر (١ / ١).

أولاً: السنة عند المحدثين:

هي مرادفة لمعنى الحديث، ويُعرّفون السنة بأنها: ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خلقية، أو سيرة^(١).

ثانياً: السنة عند الأصوليين:

تطلق على ما يقابل القرآن، وأكثر الأصوليين حصروا السنة في ثلاثة أشياء: في قول النبي ﷺ وفعله، وإقراره، وقالوا هي: (ما نقل عنه ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير)^(٢).

ثالثاً: السنة عند الفقهاء:

هي: (كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض، ولا الواجب)^(٣). أو هي: (ما يرادف المستحب)^(٤).

رابعاً: السنة عند كثير من علماء السلف:^(٥)

كثير من علماء السلف يعنون بالسنة: ما يقابل البدعة، أي: موافقة

(١) ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (٢٧/١) توجيه النظر إلى أصول الأثر (١/١) شرح نخبة الفكر للقاري (ص: ١٥٦)، وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم (ص: ٣٠) كتابة السنة النبوية في عهد النبي ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية (ص: ٦) السنة النبوية ومكانتها - رقية نياز (ص: ٤٥).

(٢) ينظر: التحرير شرح التحرير (٣/١٤٢٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/٢٤٥) المذهب في علم أصول الفقه المقارن (٢/٦٣٤).

(٣) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب (ص: ١٨).

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٢٤٥)، وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم (ص: ٣٢).

(٥) وقد يطلق عليهم تجوّزا وتوسعا في العبارة علماء العقيدة كما جاء في مفردات مقرر مادة خصائص أهل السنة، وقد يطلق عليهم بعض المؤلفين علماء الوعظ والإرشاد. ينظر: الحديث والمحدثون، محمد أبو زهو (ص: ٩-١٠).

الكتاب، وسنة الرسول ﷺ، وأصحابه؛ سواء في أمور الاعتقادات، أو العبادات، فيقال: فلان على السنة؛ إذا كانت أعماله على وفق الكتاب وسنة النبي ﷺ ويقال: فلان على البدعة؛ إذا كان عمله مخالفاً للكتاب والسنة؛ سواء كان في الاعتقادات أو العبادات^(١).

فالمعنى هنا أوسع من المعنى عند المحدثين، أو الأصوليين، أو الفقهاء.

الخلاصة مما سبق:

- ١- علماء الحديث اهتموا بما نُسب إلى النبي ﷺ.
- ٢- علماء الفقه لاحظوا في معنى السنة الأحكام الشرعية.
- ٣- علماء الأصول نظروا إلى الأدلة الشرعية.
- ٤- العلماء تارة يريدون بالسنة معنى أوسع، وهو ما يقابل البدعة، وهذا غالبا يكون في ردودهم ومصنفات العقيدة.

المطلب الثاني:

نشأة مصطلح أهل السنة، وذكر

من أطلقه من السلف ومرادهم به

أولا: نشأته وأول من أطلقه:

لفظ: (أهل السنة والجماعة)، أصله شرعي، فقد ورد في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «فعلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ

(١) ينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد با كريمة (ص: ٣٢)، والتحير شرح التحرير (٣/ ١٤٢٤).

وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُور، فَإِنْ كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ^(١). فَمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ ﷺ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ.

وَأَمَّا لَفْظُ: (الجماعة) فقد ورد في حديث الافتراق^(٢)، عن عوف بن

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (١٧١٨٢، ١٧١٨٤، ١٧١٨٧)، والحاكم في المستدرک (٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٣)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠١٢٥)، والدارمي (٩٥)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣٥).

(٢) حديث الافتراق روي من طرق كثيرة وصح عن سبعة من أصحاب النبي ﷺ أذكرها على النحو الآتي:

الحديث الأول: حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ابْنَ مَسْعُودَ -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- هَلْ سَمِعْتَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَ فِرَقٍ، فِرْقَةٌ مِنْهُمْ قَامَتْ فِي الْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ بَعْدَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِدَعْتَ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَدِينِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَاتَلَتْ حَتَّى قُتِلَتْ، فَلَحِقَتْ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ فَنَجَتْ، ثُمَّ قَامَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ تَكُنْ لَهَا قُوَّةٌ بِالْقِتَالِ فَقَامَتْ فِي الْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ وَدَعَتْ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَدِينِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخَذَتْ فَقَطَعَتْ بِالْمَنَاشِيرِ وَحَرَقَتْ بِالنِّيرانِ، فَصَبَرَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِاللَّهِ عَزَّجَلَّ فَنَجَتْ، ثُمَّ قَامَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ تَكُنْ لَهَا قُوَّةٌ بِالْقِتَالِ وَلَمْ تَطُقْ الْقِيَامَ بِالْقِسْطِ، فَلَحِقَتْ بِالْجِبَالِ فَتَعَبَدَتْ وَتَرَهَّبَتْ، فَهَمَّ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فَقَالَ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فَهَمَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَصَدَقُونِي ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]، الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِي وَلَمْ يَصَدَقُونِي، وَهَمَّ الَّذِينَ لَمْ يَرْعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَهَمَّ الَّذِينَ فَسَقَهُمُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ». أخرجه المروزي في السنة (٥٤)، والشاشي في المسند (٧٧٢)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤٤٧٩)، والحاكم في المستدرک (٣٧٩٠)، وابن بشران في أماليه -الجزء الأول- (٧٧٤)، والحديث حسن.

الحديث الثاني: حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لَتَفْتَرِقَنَّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثلثتان وسبعون في النار»، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «الجماعة». أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٩٢).

الحديث الثالث: حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعن أبي عامر عبد الله بن لُحَيٍّ، قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر، فقال إن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة -يعني: الأهواء-، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به» أخرجه أحمد في مسنده (١٦٩٣٧)، والحاكم في المستدرک (٤٤٢)، وصححه وقال (٢١٨/١): (هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث).
الحديث الرابع: حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة -أو قال: اثنتين وسبعين فرقة- وإن هذه الأمة ستزيد عليهم فرقة كلها في النار إلا السواد الأعظم» قلت: يا أبا أمامة ألا تراهم ما يعملون؟ قال: عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم إن تطيعوه تهتدوا. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٠٣٥)، وغيره من أصحاب السنن، والحديث حسن.

الحديث الخامس: حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وإن بني إسرائيل اختلفوا [افترقوا]، على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة». أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٨٦٧٤)، وأحمد في المسند (١٢٤٧٩)، وابن أبي عاصم السنة (٦٤)،

مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لَتَفْتَرِقَنَّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة، وثنيتان وسبعون في النار»، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «الجماعة»^(١). وجاء من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا^(٢).

وابن ماجه في سننه (٣٩٩٣)، والمروزي في السنة (٥٣)، والحديث صححه الألباني في تخريج أحاديث السنة لابن أبي عاصم (٣٢ / ١)، وأحمد شاكر في تخريج مسند أحمد (٤٦٢ / ١٩).

الحديث السادس: عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل، حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله، إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة» فقيل له: ما الواحدة؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». أخرجه الترمذي في السنن (٢٦٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٢)، والحاكم في المستدرک (٤٤٤)، وحسنه أحمد شاكر في تخريجه لسنن الترمذي، والحديث فيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي ضعيف لكن له شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن. ينظر: المباحث العقدية في دراسة حديث الافتراق، د. أحمد سردار (١ / ١٥٩ - ١٨٠).

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٩)، وفي مسند الشاميين (٩٨٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٤٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢ / ١٠٣٨) (١٩٩٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٧٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٩٢).

(٢) فعن أبي عامر عبد الله بن لُحَيٍّ، قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر، فقال إن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل

وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله - تعالى -: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، «فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والأهواء»^(١).

وروي عنه أيضا أنه قال: «النظر إلى الرجل من أهل السنة الذي يدعو إلى السنة، وينهى عن البدعة عبادة»^(٢).

الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني: الأهواء -، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به». أخرجه أحمد في مسنده (١٦٩٣٧)، والحاكم في المستدرک (٤٤٢)، وصححه وقال (٢١٨/١): هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٣٩٥٠)، والآجري في الشريعة (٢٠٧٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٤)، وأبو الحسين الطيوري في الطيوريات (١٢٩)، وروي مرفوعاً عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه الضياء المقدسي في المنتقى من مسموعات مرو، [مخطوط] (ن) (١١٢)، ورشيد العطار في الرواة عن مالك (١٤٧٢). قال السيوطي في الدر المنثور (٢/٢٩١): أخرج الخطيب في رواة مالك والديلمي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قال: تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدع.

وأخرج أبو نصر السجزي في الإبانة عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: تبيض وجوه أهل الجماعات والسنة وتسود وجوه أهل البدع والأهواء.

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢١٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١١).

وأما علماء السلف الذين أطلقوا لفظ أهل السنة فكُثر، أكتفي بذكر بعض أسمائهم على النحو الآتي:

- ١- محمد بن سيرين (١١٠هـ) فقد أخرج الإمام مسلم (٢٦١هـ) في مقدمة صحيحه أنه قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»^(١).
- ٢- أيوب السخيتاني (١٣١هـ)^(٢).
- ٣- سفيان الثوري (١٦١هـ)^(٣).
- ٤- الفضيل بن عياض (١٨٧هـ)^(٤).
- ٥- أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)^(٥).

-
- (١) صحيح مسلم (١/١٥).
 - (٢) قال: «إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي». وقال أيضًا: «إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة». أخرجه المخلص في المخلصيات (٢٢٤٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٩).
 - (٣) قال: «استوصوا بأهل السنة خيرا، فإنهم غرباء». أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤٩).
 - (٤) قال: «أهل الإرجاء يقولون: الإيمان قول لا عمل، وتقول الجهمية: الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل». أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار مسند ابن عباس (٩٧٩).
 - (٥) قال: «فإنك كنت تسألني عن الإيمان، واختلاف الأمة في استكمالها، وزيادته ونقصه، وتذكر أنك أحببت معرفة ما عليه أهل السنة من ذلك». أخرجه القاسم بن سلام في الإيمان (ص: ٩).

٧- حرب بن إسماعيل الكرمانى (٢٨٠هـ)^(١).

٨- محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)^(٢).

٩- أبو جعفر أحمد الطحاوي (٣٢١هـ)^(٣).

وغيرهم كثير تداولوا لفظ: (أهل السنة) فدل على أنه كان معروفاً ودارجاً عند السلف^(٤).

ثانياً: معنى أهل السنة:

مصطلح يراد به أحد معنيين:

الأول: عام يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام عدى الرفضية.

المعنى الثاني: أخص الناس بها تمسكاً واتباعاً لها قولاً وعملاً واعتقاداً، يراد به أهل السنة المحضة، يخرج منه سائر أهل البدع والأهواء^(٥)، فهو إذاً أخص من المعنى الأول.

(١) حيث يقول: «هذا مذهب أئمة العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروقتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها». معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله حرب بن إسماعيل الكرمانى، تحقيق أ.د. سليمان بن محمد الديبى (ص: ٢٥-٢٧).

(٢) حيث يقول: «وهو ديننا الذى ندين الله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة». صريح السنة للطبري (١٧) (ص: ٢٠).

(٣) حيث يقول: «هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة». الطحاوي بتعليق الألبانى (ص: ٣١).

(٤) ينظر للاستزادة حول هذا الموضوع: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم (ص: ٤٢).

(٥) ينظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٢١)، وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم (ص: ٤٦-٤٧).

المطلب الثالث:

أسماء أهل السنة وألقابهم المرضية
الواردة في النصوص، ودفع الباطل عنها

باستقراء النصوص الشرعية، وأقوال العلماء؛ نجد أن أسماءهم، هي على النحو الآتي:

أولاً: هم أهل الحديث رواية ودراية واتباعاً^(١).

ثانياً: الجماعة، وقد تقدم حديث عوف بن مالك، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الافتراق وأنه وصف الفرقة الناجية بالجماعة، وهو يطلق مقروناً مع أهل السنة، وقد يرد منفرداً، واختلف العلماء في المراد من الجماعة على أقوال:

١- أنها السواد الأعظم، ودليله حديث الافتراق وفيه: «كلها في النار إلا السواد الأعظم»^(٢).

٢- أنها جماعة العلماء المجتهدين.

٣- أنهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مستدلين، برواية: «ما أنا عليه وأصحابي». من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٣).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤ / ٥)، وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد با كريم (ص: ١١٦).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي عاصم في السنة (٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٦٥٩) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٤١)، وهو صحيح بالشواهد، منها رواية أنس عند الطبراني في الصغير (٧٢٤)، ومنها حديث أبي الدرداء، وأبي أمامة، ووائلة بن الأسقع، وأنس بن مالك، بسند واحد عند الطبراني في الكبير وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٣، ١٤٩٢، ٢٠٤).

٤- أنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

٥- أن المراد موافقة الحق ولزومه، واستدلوا بقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك»^(١).

وكل هذه الأقوال تلتقي ولا تفترق، وهي اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد^(٢)، ويمكن اختصارها بالقول: إن الجماعة لها إطلاقان:

الأول: يراد به المنهج والطريقة وسبيل المؤمنين، أي: بمعنى الحق ولزومه.

الثاني: يراد به البناء والكيان، وهو يختلف بحسب التفسيرات الواردة، فتارة يكون المعنى: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، وتارة السواد الأعظم، وتارة جماعة العلماء المجتهدين، أو الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(٣).

ثالثا: الفرقة الناجية، كما جاء في حديث الافتراق^(٤).

رابعا: الطائفة المنصورة، كما جاء في حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»^(٥).

خامسا: أهل الأثر (الأثرية):

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص: ٢٢).

(٢) ينظر للاستزادة: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد با كريمة (ص: ٩٣-٩٦).

(٣) ينظر للاستزادة مفهوم جماعة المسلمين، د. عبد الرحمن اللويحق (ص: ١٨-٣٦).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١).

وهذا اللفظ استعمله كثير من العلماء: كأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)^(١)، وابن زنجويه (٢٥١هـ)^(٢)، والمروزي (٢٩٤هـ)^(٣)، وابن خزيمة (٣١١هـ)^(٤) وغيرهم كثير.

سادساً: السلف أو السلفيون أو السلفية:

والسلف في الاصطلاح له إطلاقان:

الأول: مرتبط بوقت وزمان، وهذا قد اختلفت الأقوال فيه: أشهرها أنهم: أصحاب القرون المفضلة^(٥) كما جاء في الحديث.

الثاني: من سار على طريقة ومنهج السابقين من أصحاب القرون المفضلة؛ لكن هل يكفي أن نعتبر كل من عاش في زمن القرون المفضلة؟

الجواب: قطعاً لا، لأن كثيراً من أئمة أهل البدع ظهوروا في زمن القرون المفضلة: كالخوارج، والرافضة، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، فلا بد إذاً أن يكونوا على عقيدة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مؤمنين بكل ما جاء في الكتاب والسنة من شريعة وعقيدة، وإثبات صفات الله الواردة فيهما على ظاهرها اللائق بالله دون التورط في التأويل ظناً وتخميناً، ودون تشبيه وتمثيل جرأة على الله^(٦).

(١) الطهور للقاسم بن سلام (ص: ٢٣٣).

(٢) الأموال لابن زنجويه (٣/ ٩٦٥).

(٣) السنة للمروزي (ص: ٩٧).

(٤) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٨٧)، وصحيح ابن خزيمة (١/ ٦١).

(٥) ينظر للاستزادة وبحث هذه المسألة وذكر الأقوال: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم (ص: ٩٧-١٠٠).

(٦) ينظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٥) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص: ٢٤).

فالسلفية منهج شامل متكامل يسير على فهم الصحابة للكتاب والسنة، ومن تبعهم بإحسان ولم يخالفهم بأقوال محدثة، كإحداث علم الكلام ونحوه.

فالدعوة إلى اتباع السلف، والانتساب إليها إنما هي دعوة إلى الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، ودعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على رسول الله ﷺ وتلقاه عنه أصحابه الكرام -رضوان الله عليهم-^(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): (لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً)^(٢).

وأما من زعم أن هذا اللفظ محدث لم يكن معروفاً فهذا يبطله كلام العلماء في القرون المفضلة، ومن ذلك كلام أبي حنيفة (١٥٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ بعد أن سُئِلَ عما أحدث الناس من الكلام، والأعراض، والأجسام، فقال: (مقالات الفلاسفة، عليك بالآية وطريقة السلف، وإيّاك وكل محدثة، فإنها بدعة)^(٣).

قال مسلم (٢٦١هـ) في مقدمة صحيحه عن عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) كان: (يقول على رؤوس الناس: دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف)^(٤).

وفي هذا الأثر سُمي ابن المبارك (١٨١هـ) الصحابة سلفاً.

(١) ينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم (ص: ١٠٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٤٩).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ١١٦).

(٤) صحيح مسلم (١/ ١٦).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) في بداية كتاب الإيمان: (فإن هذا -رحمك الله- خطبٌ قد تكلم فيه السلف في صدر هذه الأمة وتابعيها ومن بعدهم إلى يومنا هذا)^(١).

وقال الطحاوي (٣٢١هـ): (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل)^(٢).

وقال قوام السنة (٥٣٥هـ) في كتابه الحجة في بيان المحجة: (رأيت أن أملي كتابا في السنة يعتمد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف)^(٣). وله عبارات متنوعة كقوله: (علماء السلف)^(٤)، أو (مذهب السلف)^(٥)، (السلف الصالحين)^(٦).

وقال السمعاني (٥٦٢هـ) في الأنساب: (السلفي بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم على ما سمعت)^(٧). ويؤكد ذلك ألقاب العلماء المذكورة في أسانيد كتب السلف^(٨).

وجاء تسمية كتاب الإمام أبو عثمان الصابوني (٤٤٩هـ) بعقيدة

(١) الإيمان للقاسم بن سلام (ص: ١٠).

(٢) الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٨٢).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ٩٤).

(٤) ينظر على سبيل المثال: المصدر السابق (١/ ١١١، ٢٣٧، ١٣٣).

(٥) ينظر على سبيل المثال: الحجة في بيان المحجة (١/ ١٨٨) (١/ ٣١٢).

(٦) ينظر على سبيل المثال: المصدر السابق (١/ ٢٥٢).

(٧) الأنساب للسمعاني (٧/ ١٦٨).

(٨) فعلى سبيل المثال انظر إلى سند كتاب شرح السنة للمزني (ص: ٧١).

السلف وأصحاب الحديث^(١)، ثم هو لفظ صحيح المعنى موافق للكتاب والسنة، فالمسلم مأمور بالاتباع للصحابة والسلف الصالح، وهذا اتباع محمود، فكل متبع لا بد أن يكون له سلف، قال - تعالى -: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولَى مِنَ الْمُهْجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فاتباع الصحابة والسلف من الاتباع الحسن. وقد تقدم ذكر الحديث: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين»، وحديث: «ما أنا عليه وأصحابي».

وهذا يرد على من زعم أن السلفية فقط مرحلة زمنية وليس مذهباً إسلامياً، ويجعل اللفظ بدعة طارئة^(٢)، ويرى أن الاتباع للسلف لا يكون باتباع أقوالهم والانحباس في حرفية الكلمات التي نطقوا بها - كما زعم - ثم يطرح طريقة جديدة، وهي أن نحتكم إلى القواعد الأصولية، وبالرجوع إلى ما احتكموا إليه من قواعد تفسير النصوص وتأويلها...، حيث يقول: (فإن إتباع السلف لا يكون بالانحباس في حرفية الكلمات التي نطقوا بها، أو المواقف الجزئية التي اتخذوها؛ لأنهم هم أنفسهم لم يفعلوا ذلك؛ وإنما يكون بالرجوع إلى ما احتكموا إليه من قواعد تفسير النصوص وتأويلها، وأصول الاجتهاد والنظر في المبادئ والأحكام)^(٣) ثم زعم أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنفسهم لم يدعوا

(١) وذلك على النسخ الخطية. ينظر للاستزادة كلام المحقق د. ناصر الجديع (ص: ٥١-٥٣).

(٢) هذا ما يقوله د. محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه: السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي (ص: ١٣).

(٣) السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي د. محمد سعيد البوطي (ص: ١٢).

الناس إلى التمسك بأقوالهم...^(١).

ثم وضع مراحل لا بد من تجاوزها للوصول للإسلام والانضباط به اعتقادا وسلوكا، وهي:

(الأولى: التأكد من صحة النصوص الواردة والمنقولة عن فهم سيدنا محمد ﷺ، قرآنا كانت هذه النصوص أم حديثاً؛ بحيث ينتهي إلى يقين بأنها موصولة النسب إليه وليست منقولة عليه.

الثانية: الوقوف بدقة على ما تتضمنه وتُعيّنه تلك النصوص؛ بحيث يطمئن إلى ما يعنيه ويقصده صاحب تلك النصوص منها.

الثالثة: عرض حصيلة تلك المعاني والمقاصد التي وقف عليها، وتأكد منها على موازين المنطق والعقل،... ونعني بالمنطق هنا قواعد الدراية والمعرفة عموماً لتمحيصها ومعرفة موقف العقل منها)^(٢).

والجواب عليه يكون على النحو الآتي:

أولاً: في قوله: (السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي) يلزم منه أن السلف ليس لهم مذهب يُعرفون به، وهذا مخالف للحقيقة، وتجني عليهم، فكأنه وصفهم بالعوام الذين عاشوا في فترة زمنية بلا مذهب^(٣).

ثانياً: القول بأن السلفية ليس مذهباً يجعل النصوص الدالة

(١) ينظر إلى كلامه في ذلك المصدر السابق (ص: ١٤-١٧).

(٢) السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي د. محمد سعيد البوطي (ص: ٦٣).

(٣) ينظر: تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهب، للشيخ صالح الفوزان (ص: ١١).

والحائثة على اتباع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا معنى لها - وقد تقدم ذكرها - (١).

ثالثاً: قوله: (الرجوع إلى ما احتكموا إليه من قواعد تفسير النصوص وتأويلها، وأصول الاجتهاد والنظر في المبادئ والأحكام...) (٢). هذا فيه تجاهل لمرتبة التلقي العلمية عن النبي ﷺ وأهلها تماماً (٣).

رابعاً: زعمه أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنفسهم لم يدعوا الناس إلى التمسك بأقوالهم...، هذا جهل وكذب عليهم، من جهة مخالفته للنصوص - وقد تقدم ذكرها - ومن جهة أنه ثبت عنهم عكس ما قال؛ إذ حثوا على الاقتداء بسلف الأمة، ولهم أقوال كثيرة، أذكر منها الآتي:

١- قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَاتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفَيْتُمْ، اْعْمَلُوا بِمَحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ» (٤).

٢- قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفَيْتُمْ» (٥).

٣- وقال أيضاً ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ كُمْ أَصْبَحْتُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ كُمْ سَتَحْدِثُونَ، وَيَحْدِثْ لَكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مُحَدَّثَةً، فَعَلَيْكُمْ بِالْهَدْيِ الْأَوَّلِ» (٦).

(١) ينظر: تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهب، للشيخ صالح الفوزان (ص: ١٢).

(٢) السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي (ص: ١٢).

(٣) ينظر: تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهب، للشيخ صالح الفوزان (ص: ١٣).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (١٥٥).

(٥) أخرجه ابن وضاح في البدع (١٣)، والمروزي في السنة (٧٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٧٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٤).

(٦) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨٠).

٤- قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّبِعُوا، وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كَفَيْتُمْ، اتَّبِعُوا آثَارَنَا، فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَإِنْ أَخْطَأْتُمْ فَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»^(١).

٥- وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «عليك بالاستقامة، واتباع الأثر، وإياك والتبذع»^(٢).

كل هؤلاء صحابة وأقوالهم في هذا المعنى كثيرة، وأما من غيرهم من التابعين وأتباعهم فكثيرة لا حصر لها ولا مجال لذكرها هنا.

خامسا: قوله: (عرض حصيلة تلك المعاني والمقاصد التي وقف عليها وتأكد منها على موازين المنطق والعقل)، فيه: موافقة للمتكلمين، وأما أهل السنة فميزانهم التسليم للنصوص وخاصة في العقيدة التي ليس للعقل فيها مجال أن يقرر ما يخالف النصوص، لأنها أمور غيبية لم يشاهدها العقل فكيف يحكم عليها؟! هذا باختصار ما يمكن الرد به عليه^(٣).

المطلب الرابع:

الألقاب التي نبز بها أهل البدع أهل السنة، والرد عليهم

إن من سنن الله الكونية ديمومة العداوة بين أهل الحق وأهل الباطل، ومن مظاهر العداوة لأهل السنة والجماعة أن خصومهم رموهم بألقاب مُنفرة وأسماء شنيعة يسمونهم بها، لكي ينصرف الناس

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٩٧).

(٢) المصدر السابق (٢٠٠).

(٣) ينظر للاستزادة في الرد عليه تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهب، للشيخ صالح الفوزان (ص: ١-٧٤)، وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: ١١١-١١٥).

عنهم، فكل فرقة أو طائفة تذكر أهل السنة بلقب أو أكثر، وربما اتفقوا جميعهم على نيز أهل السنة ببعض الألقاب، حتى أصبح من أبرز علامات أهل البدع وأظهر ما يميزهم هو الوقعة في أهل السنة والأثر، قال أبو حاتم الرازي (٢٧٧هـ): (علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر)^(١)، وهذا كما فعل المشركون مع النبي ﷺ فوصفوه بالجنون، وأنه ساحر، وكاهن، وكذاب، ونحو ذلك، فكما أن النبي ﷺ لا يلحقه من تلك الألقاب شيء، فكذلك أهل السنة لا يلحقهم شيء منها^(٢).

ومن أشهر تلك الألقاب التي نيز بها أهل البدع أهل السنة ما يأتي:

١- المشبهة، قال أبو حاتم (٢٧٧هـ): (وعلمة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة)^(٣)، ويشترك معهم في ذلك المعتزلة، والأشاعرة، والحقيقة أنهم أبعد الناس عن التشبيه - كما هو معلوم -^(٤).

٢- مُجَبَّرَة: وهذا اللقب نيزهم به المعتزلة، والقدرية^(٥).

٣- نقصانية، أو مُخَالِفَة، أو شُكَاك:

وهذه ألقاب نيزهم به المرجئة؛ لأنهم يرون أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان على اختلاف بينهم، فبعضهم قال: (الإيمان المعرفة فقط)، وبعضهم قال: (هو النطق باللسان)، وأمثلهم قالوا: (هو اعتقاد

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٠٠).

(٢) ينظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني (ص: ١١٠)، ووسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم (ص: ١٢٦).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٠١).

(٤) ينظر للاستزادة: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم (ص: ١٣٤).

(٥) ينظر للاستزادة: المصدر السابق (ص: ١٣٢).

بالقلب ونطق باللسان)، والإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، ولا يجوز الاستثناء فيه؛ فليس للمرء أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله، أو مؤمن أرجو؛ وإنما يقطع بإيمانه^(١)، فقالوا: نقصانية: لقولهم إن الإيمان يزيد وينقص، وقالوا: مخالفة: لمخالفتهم لمذهبهم، وقالوا: شكاك: لقولهم بالاستثناء في الإيمان^(٢).

قال الإمام أبو حاتم (٢٧٧هـ): (وعلامه المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية)^(٣).

(١) أما السلف فيقولون له حالتان: إحداهما: إذا أريد كمال الإيمان أو مرتبة الإحسان فالاستثناء مشروع؛ لأن فيه تركية تقتضي القطع بأن الله قبل العمل من العبد، وأنه عمل كل الأوامر، وهذا يترتب عليه أيضا القطع بدخول الجنة، دل عليه قوله - تعالى -: ﴿فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّفَقَ﴾ [النجم: ٣٢]، وجاء عن ابن مسعود بسند صحيح عند أبي عبيد للقاسم بن سلام في كتاب الإيمان (١٠) (ص: ٣٥-٣٦): أنه جاء إليه رجل فقال: بينا نحن نسير إذ لقينا ركبا، فقلنا: من أنتم؟ فقالوا: نحن المؤمنون! فقال: أولا قالوا: إننا من أهل الجنة؟! والحالة الثانية: إن أريد أصل الإيمان (مرتبة الإسلام) ففيه تفصيل أيضا: فإن كان شكاً فلا يجوز دل عليه، قوله - تعالى -: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، أما إن كان من باب إثبات أن الأمور تكون بمشيئة الله، فيجوز الاستثناء دل عليه، قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [فصل: ٢٧]، فهنا الاستثناء ذكره الله، مع أن دخولهم متحقق ومستيقن.

(٢) ينظر للاستزادة: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد با كريم (ص: ١٢٨-١٣٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٧).

وقال الإمام حرب الكرمانى (٢٨٠هـ): (أما المرجئة: فيسمون أهل السنة شكّاكًا، بل هم أولى بالشك وبالتكذيب أشبه) (١).

٤- ناصبة:

وهو من الألقاب الشنيعة التي رماهم بها الرافضة (٢).

٥- العامة أو الجمهور:

وهذا اللقب انفرد به الرافضة (٣).

٦- حشويّة:

وهذا اللقب في مراد من أطلقه لا يخرج عن الآتي:

- العامّة وهم حشو الناس، كما يطلقه الرافضة.

- رواية الأحاديث من غير تمييز لصحيحها من ضعيفها، قال أبو حاتم (٢٧٧هـ): (تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار) (٤).

- يراد به التجسيم (٥)، أي يقصدون أهل السنة بأنهم مجسمه.

٧- نابذة أو نوابت:

وهو لقب أطلقه أهل الكلام على أهل السنة والأثر، يعنون به

(١) إجماع السلف في الاعتقاد كما حكاه حرب الكرمانى، تحقيق أسعد الزعتري (ص: ٩٧).

(٢) ينظر لكلام الإمام حرب الكرمانى في المصدر السابق (ص: ٩٨)، وينظر للاستزادة: وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: ١٣٦).

(٣) ينظر للاستزادة: وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: ١٣٨-١٤١).

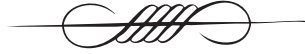
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٠١).

(٥) ينظر للاستزادة: وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: ١٤١-١٥٠).

أنهم: لا خبرة لهم بعلم الكلام ولا دراية لهم به^(١).

٨- عُثَاء، وَغُثَاء:

ويقصدون بها أن أهل السنة هم: سفلة الناس، لا نفع فيهم^(٢).



(١) ينظر: المصدر السابق (ص: ١٥١).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص: ١٥٢).



الفصل الثاني: خصائص أهل السنة

المبحث الأول: خصائص أهل السنة المتعلقة بالتسمية.

المبحث الثاني: خصائص أهل السنة في مصادر التلقي.

المطلب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة.

المطلب الثاني: العناية بالإسناد.

المطلب الثالث: اعتماد فهم السلف للنصوص، واعتقاد أنها أسلم وأحكم.

المطلب الرابع: اعتبار العقل مؤيدا للنصوص لا معارضا ولا مستقلا.

المبحث الثالث: خصائص أهل السنة في منهج الاستدلال.

المطلب الأول: الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة.

المطلب الثاني: ترك المراء والخصومات والجدل المذموم.

المطلب الثالث: عدم التفريق بين خبر الآحاد والمتواتر في العقيدة وغيرها.

المطلب الرابع: التزام النص وطرح التأويل المذموم.

المطلب الخامس: الالتزام بالألفاظ الشرعية وترك الألفاظ المجملة والاستفصال في المطلق منها.

المبحث الرابع: خصائص أهل السنة في باب التوحيد:
المطلب الأول: حرصهم على التوحيد ونشر العقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: البداية بالتوحيد.
المطلب الثالث: اتباع السنة والدعوة إليها، واجتناب البدع والتحذير منها.

المبحث الخامس: خصائص أهل السنة في باب الجماعة والائتلاف:

المطلب الأول: الاتفاق في الأصول على امتداد الزمن واختلاف الأمكنة.

المطلب الثاني: موالاتهم ومعاداتهم على أساس الدين.
المطلب الثالث: المحبة والرحمة بينهم.

المطلب الرابع: اجتناب التبديع والتكفير لبعضهم بعضاً.
المطلب الخامس: الألفة بينهم والاجتماع ونبذ الفرقة.

المبحث السادس: خصائص أهل السنة في باب الإمامة:
المطلب الأول: يعتقدون وجوب السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية..

المطلب الثاني: يحرمون الخروج على الإمام المسلم ويحذرون من ذلك، ويصبرون على جور السلطان ويرون الصلاة خلفه والجهاد معه برّاً كان أو فاجرًا.

المطلب الثالث: يرون جمع الكلمة على الإمام مع وجوب النصح له.

المطلب الرابع: الدعاء للإمام بالصلاح والسداد.
المبحث السابع: خصائص أهل السنة في باب معرفة الحق
والثبات عليه:

المطلب الأول: معرفة الحق والحرص عليه.
المطلب الثاني: الدعوة لدين الحق والساعي لحفظه.
المطلب الثالث: الصبر والثبات على الحق.
المطلب الرابع: الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.
المبحث الثامن: خصائص أهل السنة في العبادة والسلوك.:
المطلب الأول: التمسك بالسنة ومجانبة البدع.
المطلب الثاني: تقديم الفرائض على النوافل لا العكس.
المطلب الثالث: الاعتدال والبعد عن الغلو والجفاء.
المطلب الرابع: التحلي بأخلاق الشريعة وآداب الإسلام.



المبحث الأول: خصائص أهل السنة المتعلقة بالتسمية

تقدم ذكر ألقاب أهل السنة والجماعة، ولكن هنا أستنتج منها الخصائص

الآتية:

١- أن بعضها ثابتة بالنصوص: كلفظ الجماعة، أو الفرقة الناجية، أو الطائفة المنصورة، وبعضها أوصاف تميزهم عن أهل البدع: كأهل الحديث، والسلف، وأهل السنة والجماعة.

٢- أنها تحوي كل الإسلام لا تخالف الكتاب والسنة.

٣- أنها لا تعقد الولاء والبراء إلا على الإسلام.

٤- أنها لم تكن داعية لهم للتعصب لشخص أو إمام معظم غير الرسول ﷺ.

٥- أن هذه الألقاب لا تفضي إلى بدعة أو معصية، أو عصبية لشخص معين بخلاف أهل البدع.

٦- أن هذه الألقاب لم تنفصل عن الأمة الإسلامية منذ نشأتها، فالسلفي سالك في الاقتداء للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولو كان في غير عصرهم^(١)، وأهل الحديث يقابلون أهل البدع الذين خالفوا النصوص وقدموا عليها العقل أو الهوى، ولذلك قال ابن القيم (٧٥١هـ): (وكل

(١) ينظر: خصائص أهل السنة، الدخيل (ص: ١٥٢-١٥٣).

أحد يعلم أن أهل الحديث أصدق الطوائف كما قال عبد الله بن المبارك (١٨١هـ): وجدت الدين لأهل الحديث، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة، والخيل لأهل الرأي، وسوء الرأي والتدبير لآل أبي فلان^(١).
٧- تدل هذه الألقاب أنهم هم الثابتون والمدافعون عن الإسلام^(٢).

فإخلاصة مما سبق يمكن حصره في أمرين:

- ١- دلالة أسمائهم على الإسلام.
- ٢- امتيازهم عن غيرهم بعدم الانتساب إلى إمام معظم يقدمون كلامه على النبي ﷺ.



(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (ص: ٥٥٠).
(٢) ينظر: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات، بكر بن عبد الله أبو زيد (٤٠).

المبحث الثاني: خصائص أهل السنة في مصادر التلقي

المطلب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة.

المطلب الثاني: العناية بالإسناد.

المطلب الثالث: اعتماد فهم السلف للنصوص، واعتقاد أنها أسلم وأحكم.

المطلب الرابع: اعتبار العقل مؤيدا للنصوص لا معارضا ولا مستقلا.

المطلب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة

يعتقد أهل السنة والجماعة بوجوب التسليم بالخبر إذا ثبت عن النبي ﷺ ومستندهم في ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، ومن ذلك:

قوله - تعالى - : ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

[النساء: ٦٥].

وقوله - تعالى - : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

والآيات كثيرة، أما ما جاء في السنة فمنها :

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»^(١)، والأحاديث كثيرة لا يمكن حصرها، أما ما جاء عن السلف فكثير جداً اختار من أقوالهم ما يلي:

- قال الإمام أحمد (٢٤١هـ): (والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها لا يقال لِمَ، ولا كيف، إنما هو التصديق والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث، ويبلغه عقله فقد كُفي ذلك، وأحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم، مثل حديث الصادق المصدوق، ومثل ما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية، كلها وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها)^(٢).

- وقال الإمام الطحاوي (٣٢١هـ): (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهُمه، حجه مَرَامُه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً شاكاً، لا مؤمناً مصداقاً،

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨).

(٢) أصول السنة (ص: ١٧-١٩).

ولا جاحداً مكذباً^(١).

- وقال الإمام البربهاري (٣٢٩هـ) بعد ذكره لمجموعة من أحاديث الصفات: (هذه الأحاديث، فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضى، ولا تفسر شيئاً من هذه بهواك، فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسّر شيئاً من هذا بهواه، أو ردّه فهو جهمي)^(٢).

المطلب الثاني:

العناية بالإسناد

أكرم الله - تعالى - هذه الأمة وشرفها بالإسناد، وهذا ما امتازت به عن الأمم السابقة، فإنهم جميعاً لا إسناد لهم، إنما هو صُحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات^(٣)، أما أمة الإسلام فهم أمة إسناد، قال أبو حاتم الرازي (٢٧٧هـ): (لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناً يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة) فقال: له رجل: يا أبا حاتم ربما رووا حديثاً لا أصل له ولا يصح؟ فقال: (علمائهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها)^(٤).

وهذا ما امتازوا به أيضاً من بين الفرق وخاصة الرافضة، فليس

(١) ينظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (١/ ٢٠).

(٢) شرح السنة (ص: ٦٨).

(٣) ينظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٣/ ٣٣٠).

(٤) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ٤٣).

عندهم أيضا إسناد، وإنما أخذوا به من باب التقليد لأهل السنة، وصيانة المذهب من النقد.. وكان وضع هذا الاصطلاح على يد ابن المطهر (٧٢٦هـ) الذي نقده شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة^(١). والشاهد أن الإسناد هو سلاح هذه الأمة في الدفاع عن الدين كما قال سفيان الثوري (١٦١هـ): (الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح، فبأي شيء يقاتل)^(٢).

المطلب الثالث:

اعتماد فهم السلف للنصوص، واعتقاد أنه أسلم وأحكم

تقدم أن المسلم مأمور بالاتباع للصحابة والسلف الصالح، وهذا اتباع محمود، فكل متبع لا بد أن يكون له سلف، قال - تعالى -: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ مِنْ الْمُؤَجَّرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَانُوا مُتَّبِعِينَ هَدًى مِنْ رَبِّكَ فَتَعَالَى اللَّهُ عَنِ السَّاعَةِ عَصَافَةٌ﴾. ^(١) وقد صار هذا الاصطلاح عند الرافضة مثل عقيدة التقية، يستترون به على غلوهم، فإذا وجه إليه نقده ادعوا أن في رواياتهم الصحيح وغيره، كما تلحظ هذه الظاهرة في كتابات ثلة من شيوخهم المعاصرين.

(١) وقد صار هذا الاصطلاح عند الرافضة مثل عقيدة التقية، يستترون به على غلوهم، فإذا وجه إليه نقده ادعوا أن في رواياتهم الصحيح وغيره، كما تلحظ هذه الظاهرة في كتابات ثلة من شيوخهم المعاصرين. ومنهج التصحيح والتضعيف الذي وضعه المتأخرون إن طبقوه لم يبق لهم من حديثهم إلا القليل، كما كشف ذلك شيخهم يوسف البحراني، المتوفى (١١٨٦هـ) حيث قال: (والواجب إما الأخذ بهذه الأخبار، كما هو عليه متقدمو علمائنا الأبرار، أو تحصيل دين غير هذا الدين، وشريعة أخرى غير هذه الشريعة، لنقصانها وعدم تمامها؛ لعدم الدليل على جملة من أحكامها، ولا أراهم يلتزمون شيئاً من الأمرين، مع أنه لا ثالث لهما في البين، وهذا بحمد الله ظاهر لكل ناظر، غير متعسف ولا مكابر). أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد - (١/ ٣٨٨).

(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ٤٢).

أَبْدَأُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿[التوبة: ١٠٠]، فاتباع الصحابة والسلف من الاتباع الحسن.

وجاء في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبِشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنْ كَلَّ مُحَدَّثَةٌ بَدْعَةً، وَكُلَّ بَدْعَةٌ ضَلَالَةٌ»^(١).

وطريقة السلف - الصحابة والتابعون لهم - أعلم وأحكم وأسلم من غيرها، وأهدى إلى الطريق الأقوم، وتتضمن تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به، والناس مع السلف على أصناف:

- صنف كذبوهم وكفروهم وهم الرافضة والخوارج.
- وصنف فسقوهم وهم بعض المعتزلة والزيدية.
- وصنف يجهلونهم، وهذا يقوله المتكلمون في مقالاتهم: (الخلف أعلم وأحكم)^(٢).

- وصنف اتبعوهم بإحسان، وقالوا: (طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم) وهم أهل السنة والجماعة (الفرقة الناجية) (الطائفة المنصورة)، قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): (لا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (١٧١٨٢، ١٧١٨٤، ١٧١٨٧)، والحاكم في المستدرک (٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٣)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠١٢٥)، والدارمي (٩٥)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣٥).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥٧/٤).

من السالفين، كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله ﷺ والمؤمنين به حقيقة المعرفة بالمأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم^(١).

وقد تقدم ذكر بعض أقوال السلف في بيان فضل علم السلف، ولا يسعني جمعها هنا، لكن أنقل قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «اتبعوا، ولا تبتدعوا، فقد كفيتم، اتبعوا آثارنا، فقد سبقتم سبقا بعيدا، وإن أخطأتم فقد ضللتكم ضلالا بعيدا»^(٢)، وقال أيضا: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا، لقد ضللتكم ضلالا بعيدا»^(٣). وقال أيضا: «اتقوا الله معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم...»^(٤).

وقال الإمام مالك (١٧٩هـ): (ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها)^(٥).

وغيرها كثير، ولعل ما سبق يكفي.

المطلب الرابع:

اعتبار العقل مؤيدا للنصوص لا معارضا ولا مستقلا

العقل هو غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر في العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص: ١٨٥).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٢).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٠٦).

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٨٨/٢).

عن ادراكها وهذا حال العقل مع الأمور الغيبية التي هي أصول العقيدة: كالإيمان بالله، والملائكة، واليوم الآخر، فهو يعجز عن إدراكها، لكن الفلاسفة وأهل الكلام قضوا في أمور غيبية؛ لحجج عقلية - بزعمهم - اعتقدوها حقاً وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به^(١)، والعقل وظيفته: الفهم والإدراك للنص ابتداءً، ومعرفة العلل والمصالح والمقاصد التي جاءت في النصوص، بل يمكن أن يعطي العقل دلالة عامة أو مجملة، فمن الممكن أن يستدل بالشهادة على علم الغيب، كما قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَنْتَبِهُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فهذه الآيات المشاهدة تدل على توحيد الربوبية الذي يستلزم إفراد الله بالعبادة، كذلك يمكن إثبات وحدانية الله وربوبيته بالمقاييس العقلية مع ما ثبت بالفطرة والأدلة النصية، ومن ذلك: قياس الأولى فقد استعمله الإمام أحمد (٢٤١هـ) في رده على الجهمية، حيث يقول: (ومن الاعتبار في ذلك، لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صافٍ وفيه شراب صافٍ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيء من خلقه)^(٢).

والعقل يوصل إلى اليقين في مجالين هما:

١ - القضايا الفطرية.

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٩).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٤٩).

٢- القضايا الحسية والتجريبية.

وهما لا يعارضان الشريعة في الأصل؛ لأن الإسلام اعتمد في الوصول إلى المعرفة طريقين:

الأول: طريق الوحي (الوحي الصادق).

الثاني: طريقة التجربة والحس، وأشار القرآن إليها في قوله -تعالى-: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩]، فالسير يكون حسياً وذلك بالنظر في خراب الديار، ثم يأتي النظر العقلي والاستنتاج، وقياس الغائب على الشاهد، ويلحق الشيء بنظيره ثم يخرج بالنتيجة: وهي أن الصلاح الحقيقي والحياة السعيدة هي في دار الآخرة التي يجب أن تُقدّم على حياة الدنيا التي مآلها إلى الخراب والفناء^(١).

أمّا أن يخوض العقل فيما ليس من مجاله، فهذا مما لا يستقيم مع المنهج المعرفي الصحيح، حيث إن العلم بالشيء فرعٌ من تصوّره، وما لا يستطيع العقل تصوّره لا يسعه إدراكه بمجردة، لذا قال الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. فالعقل بقدراته المحدودة هو مقيد بعاملي الزمن والمكان لا يستطيع تجاوزهما إلى ما وراء المادة؛ لأنها خارجة عن حدوده.

يقول قوام السنة (٥٣٥هـ): (وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب

(١) ينظر للاستزادة بضرب الأمثلة: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان حسن (ص: ١٦٤-١٦٦).

والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطيرهم، عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق، وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني، وهو واحد زمانه في المعرفة: ما حدثني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتت بهما، وإلا رددته في نحرها، أو كلام هذا معناه^(١).

فلا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم، والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر الفرق المخالفة فطلبوا الدين بعقولهم، وخواطيرهم، وآرائهم، وعرضوا الكتاب والسنة على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله، حرّفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم - تعالى الله عما يصفون -^(٢).

فالخلاصة أن أهل السنة لم يبالغوا في منزلة العقل، ولا في منزلة القلب، بل أنزلوهما المنزل الصحيح كما دل الشرع على ذلك.

فهم وسط بين المتكلمين والصوفية؛ فالمتكلمون جعلوا العقل

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٨).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

في منزلة الوحي، في حين جعل الصوفية القلب محلاً للوحي، ومن بينهما خرج الطريق الوسط الذي سلكه أهل السنة.



المبحث الثالث: خصائص أهل السنة في منهج الاستدلال

المطلب الأول: الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة.
المطلب الثاني: ترك المراء والخصومات والجدل المذموم.
المطلب الثالث: عدم التفريق بين خبر الآحاد والمتواتر في العقيدة وغيرها.

المطلب الرابع: التزام النص وطرح التأويل المذموم.
المطلب الخامس: الالتزام بالألفاظ الشرعية وترك الألفاظ المجملة والاستفصال في المطلق منها.



المطلب الأول: الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة

أهل السنة والجماعة يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردّون المتشابه إلى المحكم؛ حتى يصلوا إلى الحق في المسألة؛ لأنهم يستدلون بالدليل ثم يعتقدون، بخلاف أهل البدع فإنهم يعتقدون ثم يستدلون، وهذا ظاهر في مؤلفات العقيدة لأهل السنة وخاصة المسندة؛ فإنهم يحشدون الأدلة تحت باب المسألة

المطروقة، ثم يظهر الحكم، كطريقتهم في الأحكام الفقهية - كما هو معلوم - فالصلاة مثلا لم يظهر الاعتقاد بكيفيتها إلا بعد جمع النصوص الكثيرة التي تبين كيفيتها.

فهم يعتمدون في استدلالهم على مصدرين عظيمين؛ وهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهذا ما يسمى (وحدة المصدر)، بمعنى أنهم لا يتلقون دينهم إلا من مشكاة النبوة، لا عن عقل، أو كشف، أو ذوق، أو منامات^(١).

المطلب الثاني:

ترك المرء والخصومات والجدل المذموم

جاءت النصوص ناهية عن المرء والجدال المذموم، ومنها: قول الله - تعالى -: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، ومنها: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «إِنْ أَبْغَضَ الرَّجُلُ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدَ الْخَصِمَ»^(٢).

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فُقي في وجنتيه الرّمان، فقال: «أبهذا أُمِرْتُمْ أم بهذا أُرْسِلْتُمْ إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه»^(٣).

(١) ينظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان حسن (ص: ٤٠-٤١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢١٣٣).

وقصة سبيع بن عسل مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخذ يتساءل عن متشابه القرآن^(١) تُبين حرصه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عدم فتح باب الشبهات وكثرة التساؤلات والجدال.

وهذا ما التزم به أهل السنة، وخير شاهد ما جاء في رسالة الإمام أحمد (٢٤١هـ) إلى الخليفة المتوكل (٢٤٧هـ) فقد جمع فيها الأدلة وأقوال السلف في ذم المرء والخصومات، ثم ختم رسالته بقوله: (ولستُ بِصَاحِبِ كَلَامٍ وَلَا أَرَى الكَلَامَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ فِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَشَرَعَهُ أَوْ عَنْ أَصْحَابِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - أَوْ عَنِ التَّابِعِينَ، فَأَمَّا غَيْرَ ذَلِكَ فَإِنَّ الكَلَامَ فِيهِ غَيْرَ مَحْمُودٍ)^(٢).

وقال الإمام البربهاري (٢٢٩هـ): (وإذا سألك أحد عن مسألة في هذا الكتاب، وهو مسترشد فكلمه، وأرشده، وإذا جاءك يناظر، فاحذره، فإن في المناظرة: المرء، والجدال، والمغالبة، والخصومة، والغضب، وقد نُهِيتَ عن هذا جدًّا، يخرجان جميعًا من طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحد من فقهاءنا، وعلمائنا أنه ناظر أو جادل أو خاصم)^(٣).

المطلب الثالث:

عدم التفريق بين خبر الأحاد والمتواتر في العقيدة وغيرها

كان السلف يتلقون أحاديث العقيدة أو الشريعة دون تفريق بين آحاد ومتواتر في أخبار الصفات، أو أخبار ما يتعلق بالصلاة والأحكام

(١) أورد قصته أبو القاسم المصري (٢٥٧هـ) في كتابه فتوح مصر والمغرب (ص: ١٥٩-١٩٦)، وابن وضاح في البدع (١٠٥).

(٢) رسالة الإمام أحمد للمتوكل (ص: ٦١).

(٣) شرح السنة للبربهاري (ص: ١٢٥).

الأخرى. وخبر الآحاد^(١) إذا ثبت وصح بالضوابط وشروط الجرح والتعديل عند علماء الحديث قبل، ولم يُرد وأوجب العمل، ولا يقال خبر الآحاد يقبل في الفروع أو في الفقه، ولا يقبل في العقيدة أو الأصول إلا ما كان متواتراً^(٢)، فالسبب في قبول الخبر عندهم هو صحة الخبر^(٣)، وأول من رد على بدعة عدم الاحتجاج بخبر الآحاد: هو الإمام

(١) حديث الآحاد يقسم إلى أقسام: الغريب، العزيز، المشهور. فالغريب: هو الذي يتفرد به بعض الرواة بأمر لا يذكره فيه غيره، إما في متنه وإما في إسناده، والحديث العزيز: ما انفرد بروايته اثنان في موضع ما من سنده، وأما الحديث المشهور: ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين. ينظر: علوم الحديث لابن الصلاح (ص: ٢٦٥-٢٧٢).

(٢) المتواتر، هو: ما يكون مستقرا في جميع طبقاته، أنه من الابتداء إلى الانتهاء ورد عن جماعة غير محصورين في عدد معين، ولا صفة مخصوصة، بل بحيث يرتقون إلى حد تحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب، أو وقوع الغلط منهم اتفاقا من غير قصد. ينظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (١٥/٤).

(٣) والأدلة على حجية خبر الآحاد في العقيدة، كثيرة منها: الدليل الأول: أن عموم الآيات لم تفرق بين العقيدة والعبادة -الفقه- ولا يوجد دليل على التفريق، لأنه من قبيل التفريق بين المتماثلين. والاعتبار في قبول أخبار الآحاد إجماع أهل الحديث دون من عداهم من المتكلمين، فأهل الحديث أهل صنعة.

الدليل الثاني: ما تواترت به الأخبار عن النبي ﷺ أنه بعث الدعاة إلى أطراف البلاد، كما في حديث معاذ لما بعثه لليمن، وقد أمره أن يعلمهم التوحيد أولا.

الدليل الثالث: الكتب التي بعثها للملوك في زمنه.

الدليل الرابع: حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي فيه أن ضمام بن ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء وسأل النبي ﷺ وأول ما سأله قال: أسألك بربك ورب من

الشافعي (٢٠٤هـ) في كتاب الرسالة وبداخلها مبحث بعنوان: (الحجة في تثبيت خبر الواحد) حشد فيها نصوصاً كثيرة مع نقل الإجماع في ذلك^(١)، وقال في نهاية كلامه: (ولم يزل سبيل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدنا هذا السبيل، وكذلك حُكي لنا عمن حُكي لنا عنه من أهل العلم بالبلدان)^(٢)، وتبعه الإمام البخاري (٢٥٦هـ) في صحيحه فوضع كتاباً في أخبار الآحاد^(٣)، وقد حكى الإجماع أيضاً في قبول خبر الآحاد جماعةً من العلماء منهم: ابن حزم (٤٥٦هـ)^(٤) وابن عبد البر (٤٦٣هـ)^(٥)، وابن القيم (٧٥١هـ)^(٦).

قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: «اللهم نعم»... إلى أن قال: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر. أخرجه البخاري (٦٣). قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم العمل بخبر الواحد ولا يقدح فيه مجيء ضمام مستتباً؛ لأنه قصد اللقاء والمشافهة... وقد رجع ضمام إلى قومه وحده فصدقوه وآمنوا). فتح الباري (١/١٥٣). ينظر للاستزادة في ذلك: أخبار الآحاد في الحديث النبوي، عبدالله الجبرين (ص: ١٢١-١٧٣)، حديث الآحاد وحجيته في تأصيل الاعتقاد، الدكتور عبدالله بن ناصر السرحاني (١/٦٧-١٨٥)، وتثبيت حجية خبر الواحد، أحمد الغريب (ص: ٥٠ وما بعدها).

(١) ينظر: الرسالة للشافعي (١/٤٠٠-٤٥٣).

(٢) المصدر السابق (١/٤٥٣).

(٣) صحيح البخاري (٩/٨٦).

(٤) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/١١٣).

(٥) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/٨)، ولوامع الأنوار البهية (١/١٩).

(٦) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (ص: ٦١٤).

المطلب الرابع:

التزام النص وطرح التأويل المذموم

إن لفظ التأويل من الألفاظ التي أصبح لها إطلاقات تختلف بحسب مستخدميها، فالذي كان عليه السلف يختلف عما اصطلح عليه المتأخرون، ولذلك أصبح مستعملاً في ثلاثة معانٍ:

أحدها: أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن، كما في تفسير الطبري (٣١٠هـ).

الثاني: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، أو مآل الكلام إلى حقيقته: كما قال - تعالى -: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

الثالث: تأويل بدعي، وهو بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترب به؛ وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها^(١)، لكن كيف نتعامل معه؟

الجواب: إذا دل عليه دليل صحيح فهو حق محمود يعمل به، ويكون من النوع الأول للتأويل وهو التفسير، وإن لم يدل عليه دليل صحيح، لا يقبل ويكون باطلاً مردوداً ومذموماً، بل يكون للتحريف أقرب^(٢).

لكن ما هي ضوابط التأويل؟

الجواب: يمكن إجمالها فيما يلي:

(١) ينظر: الرسالة التدمرية (ص: ٩١-٩٢).

(٢) ينظر: شرح الرسالة التدمرية، د. محمد الخميس (ص: ٢٧١).

١- أن يكون التأويل في إطاره ومجاله المحدد، ومعنى ذلك أن يُنظر في النصوص هل تقبل التأويل أو لا تقبل، وهي على ثلاثة أحوال: الحالة الأولى: تكون نصًّا في مراد المتكلم لا يحتمل غيره، فهذه الحالة يجوز تأويلها، بل هو افتراء وقول بلا علم: كما جاء في نصوص الصفات، والتوحيد، والمعاد.

الحالة الثانية: يكون المعنى ظاهرًا من مراد المتكلم لكن احتفت به قرائن تقويه، فهذه الحالة أيضًا لا يجوز تأويلها، مثل قوله -تعالى-: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [ط: ٥]، فهنا اطرّد في مواضعه على لفظ: (استوى)، فتأويله بـ(استولى) باطل وهو تأويل مذموم؛ لأنه لم يجيء ولو مرة واحدة بهذا اللفظ فيخرج عن نظائره.

الحالة الثالثة: إذا جاء مجملًا ليس بنص ولا ظاهر في المراد، فهو يحتاج إلى بيان، والبيان يكون إمّا مع النص في سياقه، فيرفع التوهم بأن يكون بمعنى آخر: كما في قوله -تعالى-: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وإمّا أن يكون بيانه منفصلًا في نص آخر كما في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، فجاء بيانها في سورة (القدر). وإمّا أن يكون له عدة معان، وليس معه ما يبين مراد المتكلم، فهذا مجاله واسع، وهو ليس في القرآن والسنة.

٢- أن يحتمل اللفظ المؤول المعنى المصروف إليه عن ظاهره في تركيبه، فمثلا: لا يُعرف في لغة العرب أن (استوى) بمعنى (استولى).
٣- أن الأصل في الكلام الحقيقة والظاهر، فلا يجوز العدول عنه إلا بدليل.

٤- ألا يعود التأويل على أصل النص الشرعي بالإبطال: كتأويلهم قوله -تعالى-: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، بقولهم جاء أمر ربك، فهذا

يبطل النص والمعنى.

٥- أن يجيب المتأول عن جميع المعارضات السمعية والعقلية؛ لأنها قد قامت على الأصل وهو إجراؤها على ظاهرها حقيقةً، وأنها تدل على كمال المتكلم، وكمال بيانه، ونُصحه. وأما الأدلة الداعية إلى التأويل المذموم فما هي إلا شُبّه وأوهام^(١).

ومن مظاهر تأويلهم للصفات أنهم جعلوها من المجاز^(٢)، في

(١) ينظر: جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، د. محمد لوح (ص: ٤٥-٥٠)، ومنهج الاستدلال على مسائل العقيدة (ص: ٥٣٧-٥٥١).

(٢) بعض الباحثين يذكر اختلاف العلماء في المجاز وثبوته في اللغة والقرآن، على ثلاثة أقوال:

- ١- أن المجاز واقع في اللغة والقرآن: وهو قول كثير من المتأخرين.
 - ٢- إنكار المجاز مطلقاً في اللغة والقرآن: وقد ذهب إلى ذلك أبو إسحاق الإسفراييني، وتبعه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم.
 - ٣- أن المجاز واقع في اللغة دون القرآن: وقد ذهب إلى ذلك داود الظاهري، وابنه محمد، وابن القاصّ الشافعي، وابن خويزمناد المالكي، ومنذر بن سعيد البلوطي، ومن المعاصرين الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي.
- قلت: أولاً: يجب تحقيق نسبة القول إلى ابن تيمية بأنه وافق الإسفراييني، وثانياً: القول بتقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز لم يكن معروفاً في القرون الثلاثة، والذين نُقل عنهم ممن عاش في تلك القرون، كأبي عبيدة معمر بن مثنى (٢٠٩هـ)، والجاحظ (٢٥٥هـ) هم ذكروا المجاز والاستعارة دون تقسيم للألفاظ حقيقية ومجازية، فقصدتهم -أي المتقدمين- بيان أن معاني اللغة تتعدد، ويجوز فيها أن يطلق اللفظ على أكثر من معنى، ومثال ذلك: قال أبو عبيدة معمر بن مثنى في كتابه مجاز القرآن (ص: ٩): (ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد، قال: ﴿وَالْمَلَيْكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، في موضع: ظهرء. ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع الذي له واحد منه، ووقع معنى هذا الجميع على الواحد، قال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ

تفسير آيات الصفات، واتخذوه ذريعة للتأويل؛ لأنه لا مخرج لهم من النصوص الصريحة إلا بمثل هذا القول، وقد رد عليهم السلف وأبطلوا حججهم في ذلك، يقول الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ): (ومن حق الكلام أن يُحمل على حقيقته؛ حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله عَزَّجَلَّ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجلَّ الله عَزَّجَلَّ عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين...) (١).

ومعلوم أن الأسماء والصفات من أعظم أبواب الدين التي يدخل منها الإيمان إلى القلب، فكيف يقال: إن معنى هذه الصفات يُراد به المجاز؟! أو لا يراد به الظاهر؟!

إنَّ هذا محالٌّ أن يكون في الأبواب الفقهية التي فيها مدخل للاجتهاد، فكيف يكون في باب الأسماء والصفات؟! التي من المحال أن يبقى اللفظ محتملاً؛ لأنه لا مدخل للاجتهاد فيها (٢).

النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]، والناس جميع، وكان الذي قال رجلاً واحداً).
وأما تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز فلم يظهر إلا في المائة الرابعة من الهجرة، وكان أول من أظهره هو أبو عبد الله البصري المعتزلي، وأصحابه من بعده: أبو الحسن الكرخي، وأبو بكر الجصاص، والقاضي عبد الجبار، وأبو الحسين البصري.

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣١).

(٢) ينظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، الشيخ صالح آل الشيخ (١/ ١٨٣-١٨٤).

المطلب الخامس:

الالتزام بالألفاظ الشرعية وترك الألفاظ

المجملّة والاستفصال في المطلق منها

الأصل الذي سار عليه السلف: هو الالتزام بالألفاظ الشرعية الواردة نفيًا وإثباتًا، واجتناب العبارات المحدثّة، المجملّة، المتشابهة، نفيًا وإثباتًا: كالجهة، والحيز، والحد، والحدوث، والتركيب، والجوهر، والعرض، فلا يجوز استخدامها في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة.

فاللفظ ذاته مذموم مطلقًا، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه، فلا يثبتونه ولا ينفونه، لعدم وروده، أما المعنى فلا بعد من التفصيل فيه، والاستفسار، فإذا تبين المعنى أثبت حقه، ونفي باطله..

فلا تستخدم هذه العبارات إلا في مقام المناظرة، أمّا مقام شرح الاعتقاد وبيانه، فلا تُستخدم مثل هذه العبارات^(١).

والألفاظ عموماً تقسم إلى أربعة أقسام على النحو الآتي:

الأول: الألفاظ التي وردت بها النصوص.

الثاني: الألفاظ المعروفة التي هي من باب الإخبار، وبُيّنت معانيها، مثل الذات، وبائن.

الثالث: الألفاظ المبتدعة التي تدل على معنى باطل.

الرابع: الألفاظ المبتدعة التي تدل على معنى حق وباطل^(٢).

(١) أدلة صفات الله ووجوده دلالاتها وأحكامها، أ.د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني (٨٦-٩١)، وينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: ٣٢٢).

(٢) درء التعارض (١/ ٢٧١، ٢٥٤)، الصفات الإلهية، د. محمد بن خليفة التميمي (ص: ٤٤).

والألفاظ المجملة المبتدعة أهل البدعة يستخدمونها كلوازم في
مناظراتهم لأهل السنة.



المبحث الرابع: خصائص أهل السنة في باب التوحيد

المطلب الأول: حرصهم على التوحيد ونشر العقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: البداية بالتوحيد.

المطلب الثالث: اتباع السنة والدعوة إليها، واجتناب البدع والتحذير منها.

المطلب الأول:

حرصهم على التوحيد ونشر العقيدة الصحيحة

ومن مظاهر حرصهم على التوحيد منعهم لوسائل الشرك، ومن ذلك أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء إلى الحجر الأسود فقبله، فقال: «إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»^(١).

ومن فعله أنه قطع شجرة الرضوان، وذلك حين بلغه أن ناسًا كانوا يصلون عندها فأمر بقطعها^(٢)، وجاء عن المعرور بن سويد قال: خرجنا

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط العلمية (٢ / ٧٦)، وقد صحح

مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حَجَّة حَجَّهَا، فقرأ بنا في الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، و﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ [قريش: ١]، فلما قضى حجه ورجع والناس يبتدرون فقال: «ما هذا؟» فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: «هكذا هلك أهل الكتاب، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل»^(١) وهذا نهى صريح عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدل على حرصهم على جناب التوحيد.

ومن ذلك أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قبر النبي دانيال^(٢)، كتب له أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستشير في أمره، فكتب له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن انظر أنت وأصحابك -يعني أصحاب أبي موسى- فادفنه في مكان لا يعلمه أحد غيركما»^(٣). وجاء عن أبي العالية أنه قال: «حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها، لنعميه على الناس»^(٤).

كل هذه الأعمال تبين حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على التوحيد.

وهذا ما سار عليه أئمة السلف منهم الأئمة الأربعة الفقهاء، ومن

إسناده ابن حجر في الفتح (٧/ ٤٤٨).

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٧٥٥٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٢)، وابن وضاح في البدع (ص: ٣١)، وصحح إسناده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١/ ٢٨١)، وابن حجر في الفتح (١/ ٥٩٦).

(٢) ينظر ترجمته في البداية والنهاية (٢/ ٤٨ - ٥٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣٣٨١٩)، وأبو عبيد في الأموال (٨٧٧).

(٤) أخرجه ابن اسحاق السير والمغازي (ص: ٦٦)، وقال ابن كثير: (هذا إسناد صحيح إلى أبي العالية). البداية والنهاية ط هجر (٢/ ٣٧٦).

ذلك قول الإمام مالك (١٧٩هـ) في زيارة قبر النبي ﷺ: (لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم ويمضي)^(١).

وهذا مذهب الأئمة الثلاثة أيضا - أبو حنيفة، والشافعي، وأحمد - وغيرهم من أئمة الإسلام أن الرجل إذا سلم على النبي ﷺ وأراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة^(٢).

وفي منعهم البناء على القبور كره أبو حنيفة (١٥٠هـ) البناء على القبر؛ بيت، أو قبة، أو نحو ذلك، وأن يُعَلَّم بعلامة^(٣)، وقصده من الكراهة؛ التحريم، فقد رُوي أن أبا يوسف رَحِمَهُ اللهُ قال لأبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ: (إذا قلت في شيء أكرهه فما رأيك فيه؟ قال: التحريم)^(٤)، وهذا الأصل عند المتقدمين أن مرادهم من الكراهة: التحريم، بخلاف الأصوليين، كما في قوله - تعالى -: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨]، وسبب استعمالهم للفظ (الكراهة) هو مخافة أن يتناولهم قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]^(٥).

ومثله الإمام مالك (١٧٩هـ) قال: (أكره تجصيص القبور والبناء

(١) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٩٩).

(٢) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص: ٣٥٣).

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ) (١/ ٣٢٠)، وحاشية ابن عابدين (٢/ ٢٣٧).

(٤) المبسوط للسرخسي (٤٨٣هـ) (١١/ ٢٣٣).

(٥) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي (٧٩٤هـ) (١/ ٣٩٣).

عليها، وهذه الحجارة التي يُبنى عليها^(١).

وفي الآثار، والمشاهد، والمساجد التي لم يرد فيها نص لزيارتها، ذكر أبو شامة أن مالكا (١٧٩هـ) وغيره من علماء المدينة: يكرهون تلك المساجد، وتلك الآثار التي في المدينة ما عدا قباء وأحدًا^(٢).

المطلب الثاني:

البداية بالتوحيد

وهذا ما سار عليه النبي ﷺ في دعوته دَلَّ عليها أحاديثٌ، منها: حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَعَاذِ بْنِ جَبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تَتَّخِذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فِتْرَةً عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(٣).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرٍ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟» فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَصَبَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ،

(١) المدونة (١/ ٢٦٣).

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص: ٦٢).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

فأعطاه فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حُمُرُ النعم»^(١).

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله -تعالى-: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، قال: إن الله بعث نبيه ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّق بها المؤمنون زادهم الصلاة، فلما صدّقوا بها زادهم الزكاة، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام، فلما صدّقوا به زادهم الحج، فلما صدّقوا به زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم فقال -تعالى-: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخِصَّةٍ غَيْرِ مَتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وكان المشركون والمسلمون يحجون جميعاً، فلما نزلت براءة بُنيّ المشركون عن البيت، وحجّ المسلمون لا يشاركون في البيت الحرام أحد من المشركين، وكان ذلك من تمام النعمة، وكمال الدين، فأنزل الله -تعالى-: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، إلى قوله -تعالى-: ﴿الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥]»^(٢).

وهذا ما سار عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعلماؤهم السلف، فقد روى الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) عن الإمام مالك (١٧٩هـ) أنه سُئل عن الكلام والتوحيد، فقال: (مُحال أن نُنْظَنَ بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٨١٥).

الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»^(١) فما عُصِمَ به الدم والمال، حقيقة التوحيد^(٢).

وأهمية التوحيد وتقديمه على غيره لأنه شرط في قبول الأعمال - كما هو معلوم -.

المطلب الثالث:

اتباع السنة والدعوة إليها، واجتناب البدع والتحذير منها

كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أشد الناس حرصًا على اتباع سنة النبي ﷺ كما أمرهم الله - تعالى - في كتابه بقوله - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُخْبِرًا بَيْنَ يَدَيْهِ أَعْلَامًا﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿[الحشر: ٧].

قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، وإنني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ». قال ابن بطة (٣٨٧هـ) معلقًا: (هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه ﷺ! فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيه ﷺ وبأوامره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته ﷺ؟ نسأل الله عصمة من الزلل، ونجاة من سوء العمل)^(٣). قال محمد بن سيرين (١١٠هـ): (كانوا لا يختلفون عن ابن

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢١) من حديث أبي هريرة وابن عمر.

(٢) أخرجه الهكاري في اعتقاد الإمام الشافعي (١٩) (ص: ٢٦-٢٧)، ونقله الذهبي في السير (١٠/٢٦).

(٣) أخرجه ابن بطة في الكبرى (٧٧).

مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خمس: إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير السنة سنة محمد ﷺ وشر الأمور مُحدثاتها، وإنَّ أكيس الكيس التُّقى، وإنَّ أحمق الحمق الفُجور^(١).

قال سعيد بن جبير (٩٥هـ) في قول الله - تعالى -: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، قال: (لزم السنة والجماعة)^(٢).

وعن ابن شهاب الزهري (١٢٤هـ) أنه قال: (الاعتصام بالسنة نجاة)^(٣).

قال أبو المليح (٩٨هـ): (كتب عمر بن عبد العزيز بإحياء السنة وإماتة البدعة)^(٤).

المبحث الخامس:

خصائص أهل السنة في باب الجماعة والائتلاف

المطلب الأول: الاتفاق في الأصول على امتداد الزمن واختلاف الأمكنة.

المطلب الثاني: موالاتهم ومعاداتهم على أساس الدين.

المطلب الثالث: المحبة والرحمة بينهم.

المطلب الرابع: اجتناب التبديع والتكفير لبعضهم بعضا وحرصهم على الألفة والاجتماع ونبذ الفرقة.

(١) أخرجه ابن بطة في الكبرى (١٧٠)، وأصله في الصحيحين.

(٢) أخرجه ابن بطة في الكبرى (٨٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٥).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٦).

المطلب الأول:

الاتفاق في الأصول على امتداد الزمن واختلاف الأمكنة

وهذه من أهم خصائص أهل السنة التي تميّزوا عن الفرق المخالفين لهم، فقولهم واحد لا يتغير، في التوحيد والقدر، وأبواب العقيدة الأخرى، وذلك لوحدة المنهج والمصدر، وأما غيرهم فإنهم غالباً يَمْرُون بِمراحل، كل مرحلة يكون لهم قولاً فيها مغايراً لما سبقها، مثلهم مثل الفلاسفة التلميذ يخالف أستاذه، ودليل ذلك: مشاهدٌ على سبيل المثال في الأشاعرة، فإنهم انقسموا إلى مراحل زمنية مختلفة، كل مرحلة تخالف ما قبلها في أمور عقدية تتعلق بتوحيد الصفات^(١).

(١) وهذه المراحل هي: المرحلة الأولى: الأشعرية الكلابية. أهم ملامح هذه المرحلة:

- ١- ينفون الصفات الفعلية لله.
 - ٢- يشبّتون الصفات الخبرية في الجملة، والعلو والاستواء.
 - ٣- يجعلون التوحيد في الربوبية، وقد توجد بعض الإشارات لتوحيد العبادة، وخاصة عند أهل الحديث منهم.
 - ٤- مصادر التلقي في الجملة يوافقون أهل السنة والجماعة، ومنها: قبول خبر الآحاد والإجماع، وإن وجد من بعضهم: كالباقلائي، وابن فورك.
 - ٥- عندهم خلل في منهج الاستدلال: كالقول بالتأويل، والمجاز، ومقدمات عقلية عند بعضهم.
 - ٦- عندهم اضطراب في مسألة الإيمان بين قول أهل السنة والمرجئة.
- المرحلة الثانية: الأشعرية المعتزلة: وهذه المرحلة تبدأ بالبغدادي (٤٢٩هـ) إلى وفاة الشهرستاني (٥٤٨هـ) تقريباً ومن أبرز ملامح هذه الفترة:
- ١- دخول التصوف البدعي عليهم.
 - ٢- التوحيد عندهم في الربوبية.
 - ٣- ينفون الصفات الخبرية والفعلية، ويوافقون المعتزلة في ذلك.

وهذا الاتفاق كان بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذ لم يقع بينهم اختلاف، ولا وقع أحد منهم في الافتراق والأهواء والبدع على الإطلاق، أما الزلّة فنعم قد وقعوا فيها؛ لأنه لا عصمة لأحد إلا للنبي ﷺ؛ ولذلك لا يوجد صحابي عنده منهج في الابتداع أبداً، قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): (والمقصود أن الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يقتتلوا قط لاختلافهم في قاعدة من قواعد الإسلام أصلاً، ولم يختلفوا في شيء من قواعد الإسلام: لا في الصفات، ولا في القدر، ولا مسائل الأسماء والأحكام، ولا مسائل الإمامة، لم يختلفوا في ذلك بالاختصاص بالأقوال، فضلاً عن الاقتتال بالسيف)^(١).

٤- استقر عندهم القول بالإرجاء، والجبر.
المرحلة الثالثة: الأشعرية المتفلسفة. أعلام هذه المرحلة: الغزالي (٥٠٥هـ)، والرازي (٦٠٦هـ)، والآمدي (٦٣١هـ)، والإيجي (٧٥٦هـ).
أبرز ملامح هذه الفترة:

- ١- تقديم العقل على النقل، وبروز القانون الكلي للرازي، وقانون التأويل للغزالي.
- ٢- ظهور نزعات تصوف فيها غلو، بل وصل الأمر إلى تأليف كتب في السحر كما فعل الرازي (٦٠٦هـ)، وألف كتابه: (السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم).
- ٣- وافقوا الفلاسفة بالقول عن الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا متصل ولا منفصل عنه.
- ٤- في هذه المرحلة برز فيه العداوة للسلف. ينظر: الأطوار العقدية في المذهب الأشعري (ص: ١٥ وما بعدها)، وللاستزادة ينظر: الفرق الكلامية أ.د. ناصر العقل (٤٩-٥٨)، والمدارس الأشعرية دراسة مقارنة، د. محمد الشهري (ص: ٣٧ وما بعدها)، وفتح المنان في دراسة الفرق والأديان (ص: ٢١٦-٢١٨).

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٣٣٦).

وهذا الاتفاق انسحب على من اتبعهم فلم يفترقوا في الأصول، وهذا ظاهر في كتبهم، يقول قوام السنة (٥٣٥هـ): (ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا، ولا تفرقا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟) (١).

ولكن يجب التنبيه والتفريق بين المنهج وبين المتبع، بمعنى أن الذي ينتسب إلى المنهج السلفي بالاسم قد لا يلتزم به، فيقع الخطأ وحينئذ لا يُنسب إلى المنهج ذاته؛ ليصبح هو المؤثر في هذا الاضطراب، وإنما ينسب إلى تلك الممارسة الخاطئة التي وقعت من مؤثرات خارجية: كالجهل، واتباع الهوى.

وإذا أزلنا هذا الاعتراض المُحتَمِل إرادته، أقول: إنه من المحتمل أن تأتي ممارسة في باب ما خاطئة لمنهج صحيح، وتأتي ممارسات في أبواب أخرى صحيحة موافقة للمنهج الصحيح، فلا يُنسب الخطأ للمنهج وإنما لذلك الممارس؛ لأن السبب مُنفك عن المنهج ملتصق بأسباب أخرى - والله أعلم -.

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٩).

المطلب الثاني:

موالاتهم ومعاداتهم على أساس الدين

يعتقد أهل السنة والجماعة بوجوب الموالاتة لبعضهم البعض، ومعاداتهم على أساس الدين وليس على أسس أخرى: كالسياسة وغيرها، فالمعاداة والموالاتة تكون لله، قال - تعالى -: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال - تعالى -: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُّوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة: ١٣].

أما البراءة فمن الأدلة عليها، قوله - تعالى -: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة: ٤].

أما من السنة: حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ جهارا غير سر يقول: «إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبُلُّها ببلأها [ببلألها]»^(١).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

والموالاتة على أقسام وكل قسم له حكمه، وهي على النحو الآتي:

١- الموالاتة الكفرية: وتسمى عند أهل العلم (التولي) أخذاً من قوله - تعالى -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [المائدة: ٥١]، وهذا بمعنى إذا أحب الكفار لدينهم.

٢- الموالاتة المحرمة دون الكفر: كأن يُحب بعض الكفار من أجل مصلحة دنيوية.

٣- الموالاتة الجائزة: وهي إظهار الموالاتة في الظاهر مع بغضهم في الباطن عند الضرورة والخوف: كالخشية من تسلط الأعداء على المسلمين الضعفاء، لكن لا بد من بغضهم في القلب.

هذه أقسام الموالاتة، وأما ما عداها فلا تسمى موالاتة: كالتبادل التجاري، والتعامل مع الكفار، فهذه جائزة في الأصل، ولا تسمى موالاتة^(١).

أما البراءة فهي على أقسام وحكمها على النحو الآتي:

- ١- أن يتبرأ من الإسلام وأهله فهذا كفر.
- ٢- أن يتبرأ من المسلم ويبغضه لأجل إسلامه؛ فهذا يرجع إلى بغض الدين وكراهته، فهذا مثل الأول كفر.
- ٣- أن يتبرأ من المسلم أو يبغضه ليس لدينه، وإنما لأهواء شخصية، وبدون موجب شرعي لبغضه، فهذا حرام ومعصية، وليس بكفر.

(١) ينظر للاستزادة: فتح رب الأرض والسماء في بيان معنى الولاء والبراء، الشيخ صالح السحيمي (ص: ٤١-٦٤).

٤- أن يوالي المسلمين باطنا ويظهر منه ما يشير إلى البراءة منهم: كالخذلان، وعدم الاهتمام بشأن المسلمين، والتخلي عنهم ونحو ذلك، فهذا قصور في الإيمان، وليس بكفر.

المطلب الثالث:

المحبة والرحمة بينهم

إن أهل السنة والجماعة - كما تقدم - هم متبعون للكتاب والسنة، وقد جاءت النصوص حاثّة على المحبة والمودة بينهم، ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

ومن مظاهر هذه المحبة والرحمة أنهم كانوا يُحسنون الظن ببعضهم بعضاً، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « لا يحل لأمرئ مسلم سمع من أخيه كلمة أن يظن بها سوءاً، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجاً [مصدراً] »^(١).

وقال المهلب: (أوجب الله - تعالى - أن يكون ظن المؤمن بالمؤمن حسناً، أبداً إذ يقول: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ [النور: ١٢]، فإذا جعل الله سوء الظن بالمؤمنين إفكاً مبيناً، فقد ألزم أن يكون حسن الظن بهم صدقاً بيناً)^(٢).

(١) أورده ابن عبد البر (٤٦٣هـ) في الاستذكار (٨ / ٢٩١).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ / ٢٦١).

المطلب الرابع:

اجتناب التبديع والتكفير لبعضهم بعضاً
وحرصهم على الألفة والاجتماع ونبذ الفرقة

إن التبديع، والتكفير، والتفسيق، كلها أحكام شرعية، تعتمد على الحجة والدليل، إذا ارتكب موجباتها، وأهل السنة والجماعة بعيدين عن الابتداع ومعتصمين بالسنة، فمن حاله هكذا كان غير مستحق للتبديع. ومن مظاهر اجتنابهم للتبديع وعدم التسرع فيه أنهم يعذرون من كان مجتهداً أو له عذر، يقول شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): (وكثير من مجتهد السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وفي الصحيح أن الله قال: «قد فعلت»...^(١).

وهذا يدل على حرصهم على الألفة والرفق ونبذ الفرقة، قال الحسن (١١٠هـ): (يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله، فإنكم من أقل الناس)^(٢)، وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة^(٣) جواباً على سؤال فيه: (وما هو موقفنا من العلماء الذين أولوا في الصفات، مثل: ابن حجر، والنووي، وابن الجوزي، وغيرهم، هل نعتبرهم من أئمة أهل السنة والجماعة أم ماذا؟).

(١) مجموع الفتاوى (١٩/١٩١-١٩٢).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩).

(٣) الفتوى رقم (٥٠٨٢)، وهي برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ عبد الله بن قعود، والشيخ عبد الرزاق عفيفي.

وكان جوابهم بما هو نصه: (موقفنا من أبي بكر الباقلاني، والبيهقي، وأبي الفرج بن الجوزي، وأبي زكريا النووي، وابن حجر، وأمثالهم ممن تأول بعض صفات الله - تعالى - أو فوضوا في أصل معناها - أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عنا خير الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنة رَجَّهَ اللَّهُ سِوَاءَ تَأَوَّلُوا الصفات الذاتية وصفات الأفعال أم بعض ذلك)، فهذا من إنصافهم ورحمتهم وحرصهم على عدم التعجل والتبديع من غير موجب.

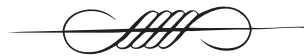


المبحث السادس: خصائص أهل السنة في باب الإمامة

المطلب الأول: يعتقدون وجوب السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية.

المطلب الثاني: يحرمون الخروج على الإمام المسلم ويحذرون من ذلك، ويصبرون على جور السلطان ويرون الصلاة خلفه والجهاد معه برًّا كان أو فاجرًا.

المطلب الثالث: يرون جمع الكلمة على الإمام ووجوب النصح له الدعاء للإمام بالصلاح والساداد.



المطلب الأول: يعتقدون وجوب السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية

وأدلة ذلك كثيرة لا يمكن حصرها، ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنّة يقاتل من ورائه ويَتَّقَى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، فإنَّ له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإنَّ عليه منه»^(١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «السَّمْع والطَّاعة حقٌّ ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة» والأحاديث كثيرة في ذلك.

قال الإمام أحمد (٢٤١هـ): (والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البرِّ والفاجر، ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمِّي أمير المؤمنين)^(٢).

المطلب الثاني:

يحرّمون الخروج على الإمام المسلم ويحذرون
من ذلك، ويصبرون على جور السلطان ويرون
الصلاة خلفه والجهاد معه براً كان أو فاجراً

وأدلتهم كثيرة منها:

١- قوله ﷺ: «تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»^(٣).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣١٧) (١٨٠/١) برواية عبدوس بن مالك العطار.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(١).

٣- حديث أنس أن النبي ﷺ قال للأَنْصار: «فإنكم سترون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(٢).

٤- عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قيل: يا رسول الله، أفلا ننازلهم بالسيف؟ فقال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة»^(٣).

٥- عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: «أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان»^(٤).

قال الحسن البصري (١١٠هـ): (والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، وذلك أنهم يفرعون إلى السيف فيؤكلوا إليه، والله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا: ﴿وَتَمَّتْ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٦٣)، وأما مسلم فأخرجه من حديث أنس عن أسيد بن حضير (١٨٤٥)، وأخرجه قريباً منه عن عبد الله بن زيد (١٠٦١).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ
فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧] (١).

قال أحمد بن حنبل (٢٤١هـ): (رأيت السنة معلقة بعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورأيت الفتنة معلقة بالسلطان) (٢). وقال أيضًا: (ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق) (٣). وهو قول علي بن المديني (٢٣٤هـ) أيضًا (٤)، وقال ابن بطة (٣٨٧هـ): (ولا تخرج بالسيف على الأئمة وإن ظلموا) (٥).

ونقل جمع كثير من العلماء الإجماعات بوجوب الطاعة وعدم الخروج على الإمام الفاسق، ومن أهمها ما نقله الحسن بن إسماعيل الربعي (ق الثالث) عن الإمام أحمد (٢٤١هـ) في رسالته وفيها نقل إجماع تسعين رجلا من التابعين والأئمة، وفيها: (قال لي أحمد بن حنبل - إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة -: أجمع تسعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عنها رسول الله ﷺ... الجهاد مع كل خليفة بر وفاجر،... والصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من عدل أو جور، وأن لا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا...) (٦)، وأما من نقل الإجماع فأذكر

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١ / ٣٧٤).

(٢) أخرجه الخلال في السنة (١٢ / ٨٢).

(٣) المصدر السابق (١ / ١٨١).

(٤) المصدر السابق (١ / ١٨٩).

(٥) الشرح والإبانة (٣٣٢) (ص: ٢٢٠).

(٦) أوردها ابن أبي يعلى في الطبقات (١ / ١٣٠-١٣١)، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص: ٢٤٠)، وابن مفلح في المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (٣٢٧).

منهم الآتي:

- ١- أبو بكر بن مجاهد (٢٤٥هـ)^(١).
- ٢- أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)^(٢).
- ٣- ابن المنذر (٣١٩هـ)^(٣).
- ٤- أبو بكر الإسماعيلي (٣٧١هـ)^(٤).
- ٥- ابن بطة (٣٨٧هـ)^(٥).
- ٦- الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ)^(٦).
- ٧- ابن بطال (٤٤٩هـ)^(٧).
- ٨- الإمام النووي (٦٧٦هـ)^(٨).
- ٩- شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)^(٩).
- ١٠- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)^(١٠).
- ١١- ابن حجر (٨٥٢هـ)^(١١).

-
- (١) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢٢٩ / ١٢).
 - (٢) رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٦٨).
 - (٣) سبل السلام (٣٧٩ / ٢).
 - (٤) اعتقاد أهل السنة (ص: ٥٤).
 - (٥) ينظر: الشرح والإبانة (٣٣٥) (ص: ٢٢١).
 - (٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٠ / ١٠).
 - (٧) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨ / ١٠).
 - (٨) شرح النووي على مسلم (٢٢٩ / ١٢).
 - (٩) منهاج السنة النبوية (٥٢٩ / ٤).
 - (١٠) شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن (٨ / ٢٥٦٠).
 - (١١) فتح الباري (٧ / ١٣)، وتهذيب التهذيب (٢ / ٢٨٨).

المطلب الثالث:

يرون جمع الكلمة على الإمام ووجوب

النصح له والدعاء للإمام بالصلاح والسداد

تقدم في المطلب السابق ذكر وجوب السمع والطاعة، أضيف هنا ما يدل على أنهم يرون جمع الكلمة بالنصح والدعاء للإمام، كما في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن» قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(١).

قال الإمام المزني (٢٦٤هـ): (وترك الخروج عند تعديهم وجورهم، والتوبة إلى الله عَزَّجَلَّ كَيْمَا يعطف بهم على رعيته) (٢).

وقال الإمام الخطابي (٣٨٨هـ) - شارحا لحديث «الدين النصيحة» -: (وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمعاونتهم على الحق

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) شرح السنة (ص: ٨٧).

وطاعتهم فيه وأمرهم به^(١).

وقال البغوي (٥١٦هـ): (وترك الخروج عليهم بالسيف إذا ظهر منهم حيف، أو سوء سيرة، وتنبيههم عند الغفلة، وألا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى بالصلاح لهم)^(٢).

ويقول الإمام الصابوني (٤٤٩هـ) في عقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام برّا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جوراً فجراً، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف)^(٣).



(١) شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٧).

(٢) شرح السنة للبغوي (١٣/ ٩٥).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٩٤).

المبحث السابع: خصائص أهل السنة في باب معرفة الحق والثبات عليه

المطلب الأول: أعراف الناس بالحق والحرص عليه وأعظمهم صبرا وثباتا على الحق.

المطلب الثاني: أنهم القائمون بنقل الدين وحفظه والدعوة إليه.

المطلب الثالث: هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة.

المطلب الأول:

أعراف الناس بالحق والحرص عليه
وأعظمهم صبرا وثباتا على الحق

ومعرفتهم للحق كونهم اعتصموا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ بفهم السلف، ولم يفرقوا بين النصوص، يرجعون إليهما عند وقوع النزاع، إضافة إلى سلامة فطرهم وصحة عقولهم، فكانوا على الحق مستمسكين به، كما قال - تعالى - : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤٣]، وجاءت آيات أخرى تحث على لزوم الحق، منها قوله - تعالى - : ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠]، وجاء

في حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات ندعو بهنّ في صلاتنا: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأستغفرك لما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم»^(١).

قال الإمام السجزي (٤٤٤هـ): (فأهل السنة: هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن الرسول ﷺ؛ لأنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أئمة، وقد أمرنا باقتداء آثارهم، واتباع سنتهم، وهذا أظهر من أن يحتاج رسالة فيه إلى إقامة برهان، والأخذ بالسنة واعتقادها مما لا مِرية في وجوبه)^(٢).

المطلب الثاني:

أنهم القائمون بنقل الدين وحفظه والدعوة إليه

وهذا لأنهم عرفوا الحق باعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويدل على صفاء عقيدتهم ووضوحها، ومستندهم أدلة كثيرة منها: حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(٣).

قال الإمام الخطابي (٣٨٨هـ): (وأما نصيحة عامة المسلمين - وهم من عدا ولاية الأمور - فأرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم)^(٤).

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧١٣٣)، والترمذي في سننه (٣٤٠٧).

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (٥٥).

(٤) شرح النووي على مسلم (٣٧ / ٢).

ومن أهم ما يكون في دعوة الناس ونصحهم التوحيد، فالسلف متفقون على الدعوة للتوحيد وتعليمه ومدارسته، وأهميته رغم دعوى المبطلين، قال قوَّام السنة (٥٣٥هـ): (فإن قال قائل: إن الخوض في مسائل القدر والصفات، وشرط الإيمان يورث التقاطع والتدابير والاختلاف، فيجب طرحها، والإعراض عنها على ما زعمتم...)

الجواب: إنما قلنا هذا في المسائل المحدثه، وأما القول في هذه المسائل من شرط أصل الدين، ولا بد من قبوله على نحو ما ثبت فيه النقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه، ولا يجوز لنا الإعراض عن نقلها وروايتها وبيانها، لتفرق الناس في ذلك، كما في أصل الإسلام، والدعاء إلى التوحيد، وإظهار الشهادتين.

وقد ظهر بما قدمنا، وذكرنا بحمد الله ومنه أن الطريق المستقيم مع أهل الحديث، وأن الحق ما نقلوه ورووه، ومن تدبر ما كتبناه، وأعطى من قبله النصفة، وأعرض عن هواه، واستمع وأصغى بقلب حاضر، وكان مسترشدا مهتديا، ولم يكن متعنتا، وأمدّه الله بنور اليقين، عرف صحة جميع ما قلناه، ولم يخف عليه شيء من ذلك، والله الموفق^(١).

المطلب الثالث:

هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة

وقد تقدم حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»^(٢).

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٤٣-٢٤٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١).

قال ابن المبارك (١٨١هـ): (هم عندي أصحاب الحديث)^(١).

قال علي بن المديني (٢٣٤هـ): (هم أصحاب الحديث)^(٢).

وقال أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) فقال: (إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟)^(٣).

وقال أحمد بن سنان (٢٥٨هـ): («لا تزال طائفة من أمتي على الحق»، فقال: هم أهل العلم وأصحاب الآثار)^(٤).

وقال البخاري (٢٥٦هـ): (يعني أصحاب الحديث)^(٥).

والمقصود بأهل الحديث: المعنى العام أي الذين يأخذون بالحديث، فيدخل معهم الفقهاء المتبعون للدليل، فالمراد المعنى العام وليس المعنى الاصطلاحي أهل الصنعة.

قال أبو حاتم في قوله ﷺ: «فعلیکم بسنتي»: (من واطب على السنن، قال بها، ولم يعرج على غيرها من الآراء من الفرق الناجية في القيامة، جعلنا الله منهم بمنه)^(٦).



(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ٢٦).

(٢) المصدر السابق (ص: ٢٦).

(٣) المصدر السابق (ص: ٢٧).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ٢٧).

(٦) صحيح ابن حبان (١/ ١٨٠).

المبحث الثامن: خصائص أهل السنة في العبادة والسلوك

- المطلب الأول: التمسك بالسنة ومجانبة البدع.
- المطلب الثاني: تقديم الفرائض على النوافل لا العكس.
- المطلب الثالث: الاعتدال والبعد عن الغلو والجفاء.
- المطلب الرابع: التحلي بأخلاق الشريعة وآداب الإسلام.

المطلب الأول:

التمسك بالسنة ومجانبة البدع

وقد تقدم ذكر شيء مما يبين هذه الخصيصة بتمسكهم بالكتاب والسنة ومجانبة البدع، ومن أهمها قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَٰهُ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء

فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»^(١).

قال أبو حاتم الرازي (٢٧٧هـ): (مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان، وترك النظر في موضع بدعهم، والتمسك بمذهب أهل الأثر، مثل: أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وأبي عبيد القاسم بن سلام، والشافعي، ولزوم الكتاب والسنة، والذب عن الأئمة المتبعة لآثار السلف، واختيار ما اختاره أهل السنة من الأئمة في الأمصار مثل: مالك بن أنس في المدينة، والأوزاعي بالشام، والليث بن سعد بمصر، وسفيان الثوري، وحامد بن زياد بالعراق من الحوادث مما لا يوجد فيه رواية عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وترك رأي الملبسين المموهين المزخرفين الممخرقين الكذابين)^(٢).

يقول الآجري (٣٦٠هـ): (علامة من أراد الله به خيرا: سلوك هذا الطريق، كتاب الله، وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء، مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقته، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء)^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٠٢).

(٣) الشريعة للآجري (١/ ٣٠١).

المطلب الثاني:

تقديم الفرائض على النوافل لا العكس

وهذه قاعدة مأخوذة من نصوص كثيرة منها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه »^(١)، فدلّ على أن المرأة عليها أن تقدم الفرض وهو طاعة زوجها على النافلة وهو صيام التطوع.

قال النووي (٦٧٦هـ) -معلقا على الحديث-: (وهذا النهي للتحريم صرح به أصحابنا وسببه أن الزوج له حق الاستمتاع بها في كل الأيام، وحقه فيه واجب على الفور، فلا يفوته بتطوع ولا بواجب على التراخي...) ^(٢).

المطلب الثالث:

الاعتدال والبعد عن الغلو والجفاء

وهذا من معاني الوسطية؛ لأن دين الله بين الغلو والجفاء والتفريط والإفراط، وخير الأمور الأوساط، سواء أكان في باب العقيدة أم الأحكام الفقهية والسلوك، فهم وسط بين فرق الأئمة، كما أن الأمة وسط بين الملل والأديان السابقة^(٣)، وهذا ميزان للحق وأهله يعرفون به، فالناس يصنفون على ثلاثة، طرفان على نقيض، غلو وجفاء، وطرف هو وسط بينهما، وكذلك الحق يكون بين طرفين هو وسط بينهم.

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (١١٥ / ٧).

(٣) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢ / ٤٣٨)، والوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري (١ / ٣٦).

يقول شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): (وقد تأملت ما شاء الله من المسائل -الفقهية- التي يتباين فيها النزاع نفياً وإثباتاً حتى تصير مشابهة لمسائل الأهواء؛ وما يتعصب له الطوائف من الأقوال؛ كمسائل الطرائق المذكورة في الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي، وبين الأئمة الأربعة؛ وغير هذه المسائل: فوجدت كثيراً منها يعود الصواب فيه إلى الوسط... وكذلك هو الأصل المعتمد في المسائل الخبرية العلمية التي تسمى مسائل الأصول: أو أصول الدين، أو أصول الكلام، يقع فيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس... ثم غالب الخلاف المتباين فيها يعود الحق فيه إلى القول الوسط في مسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر والعدل، ومسائل الأسماء والأحكام، ومسائل الإيمان والإسلام، ومسائل الوعد والوعيد، ومسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على الأمراء ومذاهبهم أو موافقتهم على طاعة الله، فأمرهم ونهيهم بحسب الإمكان والامتناع عن الخروج والفتن. وأمثال هذه الأهواء...) (١).

وسياتي الكلام بتفصيل أكثر في الفصل الثالث -إن شاء الله-.

المطلب الرابع:

التحلي بأخلاق الشريعة وآداب الإسلام

(تنقسم أخلاق المسلم إلى أقسام:

- ١- أخلاق مع الله -تعالى-.
- ٢- أخلاق مع الناس.
- ٣- أخلاق مع النفس.

(١) مجموع الفتاوى (١٤١/٢١).

٤- أخلاق مع سائر مخلوقات الله الأخرى^(١).

والذي سيكون في هذا المطلب: هو الاصطلاح الغالب المتعلق بالأخلاق مع الناس، وهو في الحقيقة مرتبط بالتقوى والإيمان القلبي فمن كان قلبه معلقاً بالله - تعالى - يخشاه ويرجو رحمته كان حسن الخلق مع الناس، فالأخلاق جزء من الإيمان لا يتجزأ، دل عليه أدلة، منها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٢).

ففي الحديث ربط الجنة بالإيمان، ثم ربطه بتحقيق المحبة، ثم بين أن السلام (وهو من الأخلاق) من الوسائل المحققة لذلك.

وهذا ظاهر في علماء السلف، وشاهده من الصحابة قصة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيث قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من نفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولا كانوا أو شبانا»، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: «فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر»، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ أن يُوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]،

(١) الأخلاق الفاضلة، د. عبد الله الرحيلي (ص: ٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٥٤).

وإن هذا من الجاهلين، «والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقفاً عند كتاب الله»^(١).

فانظر كيف رجع ووقف تأدباً مع الآيات وهذا هو الإيمان المؤثر، وذلك كثير من العلماء ما يربط الأخلاق بالعقيدة والتوحيد^(٢)، فهذا الإمام الطبراني (٣٦٠هـ) يفتح كتابه مكارم الأخلاق بقوله: (باب فضل تلاوة القرآن وكثرة ذكر الله - تعالى - والصمت إلا من خير، وحب المساكين ومجالستهم)^(٣).

وكذلك ابن تيمية (٧٢٨هـ) في العقيدة الواسطية يعقد فصلاً في بيان مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة والجماعة^(٤)^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٢).

(٢) لأن الأخلاق لابد أن يكون أصلها صحيح مبني على الإخلاص كما دل على ذلك حديث عائشة، وفيه أنها قالت للنبي ﷺ: «ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا يا عائشة، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين». أخرجه أحمد بسند صحيح في مسنده (٢٤٦٢١)، كذلك حديث ابن عمر قال: ذكر حاتم عند النبي ﷺ فقال: «ذاك رجلاً أراد أمراً فأدركه». أخرجه البزار في مسنده بسند جيد (٦١٢٧). وهذا التقرير دونته من درس الشيخ عبد الرزاق البدر - وفقه الله - وشرحه لكتاب فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد، للشيخ السعدي (١٣٧٦هـ) في المسجد النبوي في تاريخ ٢٤-٩-١٤٣٩هـ.

(٣) مكارم الأخلاق للطبراني (ص: ١١٠) دار البشائر.

(٤) العقيدة الواسطية (ص: ١٢٩).

(٥) ومثله كتاب: (فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد)، للشيخ السعدي (١٣٧٦هـ) التوحيد أخذ أكثر من نصف الكتاب، ثم في علم الآداب والأخلاق ربطه بالتوحيد والإخلاص، بل عدّ المؤلف الإخلاص

وأما أقوال السلف في الحث على حسن الخلق فكثيرة، فبعضهم يذكر جزءاً منها لبيان أهميته، فعن عبد الله بن المبارك (١٨١هـ)، أنه وصف حسن الخلق فقال: (هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى)^(١).

وقال الإمام أحمد (٢٤١هـ): (حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحتد، وعنه أنه قال: حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس)^(٢).



من الأخلاق، وكذلك التوكل على الله، الشاهد أنه يربط الأخلاق بالعقيدة.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٤٥٧).

الفصل الثالث : وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق وخصائص عقيدتهم

- المبحث الأول: تعريف الوسطية.
- المطلب الأول: معنى الوسطية في اللغة.
- المطلب الثاني: معنى الوسطية في الشرع وتحقيقه في أهل السنة.
- المبحث الثاني: وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق وأبرز مظاهرها.
- المبحث الثالث: خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة.
- المطلب الأول: سلامة مصدر التلقي.
- المطلب الثاني: التسليم لله ولرسوله ﷺ.
- المطلب الثالث: الموافقة للفطرة والعقل السليم.
- المطلب الرابع: السلامة من الاضطراب.
- المطلب الخامس: الثبات والاستقرار.
- المطلب السادس: هي سبب النصر والظهور والتمكين.
- المطلب السابع: سبب للطمأنينة والراحة النفسية.

المبحث الأول: تعريف الوسطية

المطلب الأول: معنى الوسطية في اللغة.
المطلب الثاني: معنى الوسطية في الشرع وتحقيقه في أهل السنة.

المطلب الأول: تعريف الوسطية في اللغة والشرع

أولاً: الوسطية في اللغة:

- تضبط (الوسطية) على وجهين: الأول: وسط، بسكون السين. وهي: بمعنى (بين)؛ جلست وسط القوم، أي: (بين). الثاني: وَسَط، بفتح السين، ولها أكثر من معنى:
- الاسم بين طرفي الشيء، وهو منه، مثل: تقول أمسكت بوسَط العصي.
 - الصفة للمدح (خيار، أفضل، أجود) أوسط الشيء أفضله.
 - العدل.
 - الشيء بين الجيد والرديء^(١).

(١) ينظر: كتاب العين (١٠٤٩)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٨٨٨، ٣٨٨٩).

ثانيًا: الوسطية في الشرع.

تأتي بمعنى:

- ١- العدالة والخيرية، والتوسط بين الإفراط والتفريط. ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. أي: عدلاً. كما فسرهما النبي ﷺ عند البخاري، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٢- الشيء بين الجيد والردىء، أو بين الأرفع والأدنى، كما في قوله -تعالى-: ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [البقرة: ٨٩].
- ٣- الوسطية الحسية، وهي ما بين الطرفين، كما في قوله -تعالى-: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ومنه قوله -تعالى-: ﴿فَوَسَّطْنَا بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥]، أي دخلن وسط العدو.
- ٤- بمعنى: (بين)، منه أن رسول الله ﷺ: «لعن من جلس وسط الحلقة»^{(١)(٢)}.

المطلب الثاني:

وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق وأبرز مظاهرها

أهل السنة والجماعة وسط في فرق الأمة، كما أنها وسط في الأمم السابقة، كما أخبر الله -تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [آل عمران: ١٠٩].

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٤٠٦)، وأبو داود (٤٨٢٦)، والحديث ضعفه

الشيخ الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٧٩٨).

(٢) ينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق (ص: ١٨-٢٢).

١٤٣]. فيمتاز أهل السنة والجماعة عن غيرهم من الفرق - أهل الضلالة والبدع - بأنهم وسط، وموافقون للحق في جميع أبواب العلم والدين، فهم وسط في باب صفات الله بين (المعطلة) الذين نفوا صفات الباري أو بعضها، وبين (المشبهة) الذين غلوا في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه. فالمعطلة يعبدون عدمًا، والممثلة يعبدون صنمًا، وأما أهل السنة فأثبتوها على الوجه اللائق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

وقد رد الله على الطائفتين بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فهذا رد على المشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، رد على المعطلة.

وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية؛ لأن الجبرية (الجهمية وغلاة الصوفية)^(١) غلوا في إثبات القدر، وزعموا أن العبد لا فعل له، بل هو بمثابة الشجرة أو الريشة التي تحركها الريح يمناً ويسرة، و(القدرية) فرطوا بجانب الله، وقالوا: إن العبد يخلق فعله بدون مشيئة الله وإرادته، وأهل السنة توسطوا وقالوا: للعبد اختيار ومشية، وليس يخلق فعله، بل الله خالقه وخالق أفعاله، وقالوا: إن مشيئته وإرادته بعد مشيئة الله وإرادته، كما قال - سبحانه -: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية

(١) ويسمون جبرية (الظاهر والباطن)، وهناك صنف آخر وهم جبرية (الباطن) لا (الظاهر)؛ وهم الأشاعرة القائلين بالكسب، أي يضاف إلى الإنسان الفعل مجازًا، والفاعل هو الله، فالنتيجة القول بالجبر. ينظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، الشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ١١٤-١١٥).

وغيرهم؛ لأن المرجئة قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، وزعموا أن العاصي لا يدخل النار، والوعيدية من القدرية وأشباههم أنفذوا الوعيد الوارد في حق العصاة، وقالوا: إن العصاة إذا لم يتوبوا مخلدون في النار، وأهل السنة توسطوا في ذلك فقالوا: إن المعاصي تنقص الإيمان، وصاحبها تحت المشيئة، وقد يدخل النار، ولكن لا يخلد فيها كما جاءت به النصوص عن النبي ﷺ، ففاعل الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته؛ لأن الله لم يسلب منه الإيمان كما قال - تعالى - : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفْتِنُوهُمَا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩]، فسامهم مؤمنين مع حصول القتل وهو كبيرة.

وهم وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية؛ لأن الحرورية والمعتزلة يقولون: إن الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد ولكن لا يزيد ولا ينقص، فمن أتى بكبيرة: كالزنا ونحوه كفر عند الحرورية، وصار فاسقاً عند المعتزلة خالداً في النار، ويقولون: إنه في الدنيا ليس مؤمناً ولا كافراً، ولكن جعلوه في منزلة بين المنزلتين وهي الفسق.

وأما المرجئة: وهم الذين يقولون إن الإيمان قول فقط، أو قول وتصديق بالقلب - فهم يرون أن المعاصي لا تنقص الإيمان، ولا يستحق صاحبها النار إذا لم يستحلها، والجهمية مثل المرجئة؛ لأنهم يقولون: إن الإيمان مجرد المعرفة، وأما أهل السنة توسطوا بين هذه الطوائف الأربع، فقالوا: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وقالوا: إن العاصي لا يكون كافراً لمجرد المعصية، ولا مخلداً في النار، خلافاً لقول الخوارج والمعتزلة، وقالوا أيضاً: إن

المعاصي تُنقص الإيمان، ويستحق صاحبها النار إلا أن يعفو الله عنه، خلافاً للجهمية والمرجئة.

وهم وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج؛ لأن الرافضة غلوا في علي رضي الله عنه وأهل البيت، والخوارج كفّروا بعض الصحابة رضي الله عنهم وفسقوا بعضهم، وأهل السنة خالفوا الجميع، فوالوا جميع الصحابة، ولم يغلوا في أحد منهم^(١).

فأهل السنة وسط في كل شيء، ومن مظاهر ذلك باختصار:

- وسط في التلقي والاستدلال بين أصحاب الجمود: كالظاهرية، وبين أهل التأويل والتعطيل.
- وسط في الوعد والوعيد بين الخوارج والمرجئة.
- وسط في الأعمال القلبية بين الخوف والرجاء.
- في القدر وسط بين الجبرية والنفاة.
- وفي الأسباب، هم وسط بين التوكل والزهد، وبين الأخذ بالأسباب وعمارة الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «اعقلها وتوكل»^(٢).

(١) ينظر: العقيدة الواسطية (ص: ٧٧-٧٨)، التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة (ص: ٧٠)، شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٨٦)، شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح الفوزان (ص: ١١١-١١٣)، اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، الشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ١١٠-١٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥١٧)، وابن حبان في الصحيح (٧٣١)، وصححه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢٦٥٨)، والألباني في صحيح موارد الظمان (٢١٦٢ - ٢٥٤٩) من حديث عمرو بن أمية رضي الله عنه.

المبحث الثاني: خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة

- المطلب الأول: سلامة مصدر التلقي.
- المطلب الثاني: التسليم لله ولرسوله ﷺ.
- المطلب الثالث: الموافقة للفطرة والعقل السليم.
- المطلب الرابع: الثبات والاستقرار والسلامة من الاضطراب.
- المطلب الخامس: هي سبب النصر والظهور والتمكين.
- المطلب السادس: سبب للطمأنينة والراحة النفسية.

المطلب الأول:

سلامة مصدر التلقي

يمتاز أهل السنة والجماعة عن غيرهم بسلامة مصدر التلقي؛ كونهم يعتمدون على مصدرين عظيمين، وهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والضابط في فهم النصوص اعتبار وتقديم فهم السلف (الصحابة ومن تبعهم بإحسان)، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: الكتاب (القرآن الكريم):

والاستدلال به من غير خطأ؛ يكون بذكر قواعد عامة تُعين على ذلك

منها:

١- الرجوع في تفسير القرآن إلى القرآن نفسه، فإذا لم نجد نرجع إلى سنة النبي ﷺ؛ لأنه المبلّغ عن ربه، فإذا لم نجد فيها رجعنا إلى تفسير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم شهدوا التنزيل وتلقوه من النبي ﷺ وعلموا أسبابه، فإذا لم نجد البيان في أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رجعنا إلى أقوال التابعين؛ لأنهم تلاميذ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ونقله عنهم.

٢- الحذر من تفسير القرآن الكريم بالرأي المجرد؛ لأنه غير معصوم وقد ينساق وراء الأهواء، ولأنه قد جاءت النصوص محذرة من ذلك^(١).

٣- المفاهيم الشرعية يجب أن تقدم على المفاهيم اللغوية؛ لأن الشرع في الغالب ينقل المعاني اللغوية بمفاهيم شرعية: كما وقع في معنى الصلاة مثلاً.

٤- لا يعني تقديم المفاهيم الشرعية على اللغوية أن اللغة ليست مهمة؛ بل إن القرآن والسنة مرتبطان باصطلاح العرب وأسلوبهم، وفهمهما، وقد أدرك علماء الأمة هذه العلاقة مبكراً؛ ولذلك رفضوا تقبل (المنطق اليوناني)^(٢)؛ لأنه مرتبط بلغة غريبة ومختلفة عن لغة

(١) كما في قوله ﷺ: «من قال بالقرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». رواه النسائي في فضائل القرآن (١١٠، ١٠٩)، والترمذي (٢٩٥١)، وأحمد في مسنده (٣٠٢٥)، والطبري في تفسيره (٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما وحسنه الترمذي، وله طرق أخرى عن ابن عباس، رواها ابن حبان في الثقات (١٣٩١٣).

(٢) قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن علم المنطق القديم القياس الأرسطي لا يفيد العلم، وأنه تحصيل حاصل وتحكم لا معنى له؛ ثم جاء بعده علماء المنطق

العرب، وعملوا على إقامة مناهج البحث الإسلامي على أساس اللغة، التي نزل بها القرآن الكريم.

ثانياً: السنة:

وهي المصدر الثاني، فهي بيان للقرآن ومفسرة لما أجمل فيه، وهي كل ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة مطلقاً. وهي بهذا مرادفة لمعنى الحديث^(١)، وهذا معناه عند المحدثين.

وعند كثير من السلف: موافقة الكتاب وسنة الرسول ﷺ وأصحابه، سواء في أمور الاعتقادات، أو العبادات، فيقال فلان على السنة: إذا كانت أعماله على وفق الكتاب وسنة النبي ﷺ^(٢).

والسنة لا تخالف القرآن الكريم؛ لأنها تُفصل مجمل القرآن الكريم: كما جاء في قوله -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد جاء ذكر السنة بأنها الحكمة في القرآن كما في قوله -تعالى-: ﴿وَأَذْكُرُوا مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُمْ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ

بقرون فقرروا ما قرره هذا العالم الفذ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ينظر: في تفاصيل هذه المسألة الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٢٢-١٧)، وكتاب دراسات في المنطق مع نصوص مختارة للدكتور عزمي إسلام (ص: ٢٦-٤٦).

- (١) ينظر للاستزادة: مدخل لدراسة العقيدة، د. عثمان ضميرية (ص: ٩٢).
- (٢) ينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكر (ص: ٣٢)، والتحرير شرح التحرير (٣/ ١٤٢٤).

كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴿ [الأحزاب: ٣٤] ^(١).

فالسنة جزء من القرآن، أي: بمنزلة الجزء من الكل، قال مكحول (١٢هـ): (القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن) ^(٢).

قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ): (يريد أنها تقضي عليه، وتبين المراد منه، وهذا نحو قولهم: ترك الكتاب موضعاً للسنة، وتركت السنة موضعاً للرأي) ^(٣).

قال السيوطي (٩١١هـ): (والحاصل أن معنى احتياج القرآن إلى السنة أنها مبيّنة له، ومفصلة لمجملاته، لأن فيه لو جازته كنوزاً تحتاج إلى من يعرف خفايا خباياها فيبررها، وذلك هو المنزل عليه ﷺ وهو معنى كون السنة قاضية عليه، وليس القرآن مبيناً للسنة، ولا قاضياً عليها؛ لأنها بيّنة بنفسها، إذ لم تصل إلى حد القرآن في الإعجاز والإيجاز؛ لأنها شرح له، وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط

(١) وقوله - تعالى -: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقوله - تعالى -: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله - تعالى -: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٥٦٧)، والمروزي في سننه (١٠٤)، وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة (ص: ٤٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٨٨).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٩٤).

من المشروح^(١).

أيضاً ألفاظ السنة الصحيحة ليس بينها تناقض أبداً، وإنما السبب يرجع للناظر، قال ابن القيم (٧٥١هـ) في نونيته: (ما بين ألفاظ الرسول تناقض بل ذاك في الأفهام والأذهان)^(٢).

ثالثاً: الإجماع:

وهو من مصادر التلقي المساندة للكتاب والسنة: فهو حجة عند السلف في قضايا الاعتقاد؛ إذ لا تخلو من الدليل، فيضاف إليها الإجماع ليعضدها ويقويها، ويدفع عنها احتمال الخطأ الذي قد يتطرق للظنيات، فضلاً عن أن الإجماع يقيم الحجة على المخالف، ولم يزل السلف ينقلون الإجماع في كثير من المسائل^(٣)، لكن هنا في هذا

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص: ٤٤).

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣/ ٩٤٠).

(٣) ومن أمثلة ذلك:

١- رسالة الحسن الربيعي يروي عن الإمام أحمد وهي رسالة مهمة مختصرة نقل فيها إجماع تسعين رجلاً من التابعين أوردها ابن أبي يعلى في الطبقات (١/ ١٣٠-١٣١)، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص: ٢٤٠)، وابن مفلح في المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (٣٢٧).
٢- إجماع البخاري نقله الإمام اللالكائي ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ١٩٤).

٣- ومنها ما نقله حرب بن إسماعيل الكرمانى (٢٨٠هـ) ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله حرب بن إسماعيل الكرمانى، تحقيق أ.د. سليمان بن محمد الديبى (ص: ٢٥- وما بعدها).

٤- ومنها ما نقله ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ) عن أبيه (٢٧٧هـ)، وأبي زرعة (٢٦٤هـ) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٨) العلو للعلی الغفار (ص: ١٨٨).

المقام الذي أذكر فيه خصائص أهل السنة يجب أن أبين الفرق بين إجماع السلف وإجماع المتكلمين كما لحظه العلماء^(١)، وتوضيح ذلك من وجهين:

الوجه الأول: من حيث المعنى، إذ السلف يعنون به إما المعلوم من الدين بالضرورة^(٢)، وإما الإجماع الاستقرائي، كأن يستقر القول عند العلماء في مسألة ولا يوجد مخالف فيها، وإما الإقرارى أو السكوتى: وهو أن يشتهر القول أو الفعل ويسكت الباقون من غير إنكار. وهذا الإجماع بهذا المعنى يمكن تحقيقه، وهو الذي يشهد له الواقع والتاريخ. فإن علماء السلف الذين نقلوا العقائد، وحكوا الإجماع عليها كانوا أئمة في الحديث، ومن أشد الناس تقصياً للحديث؛ نظراً لحسن قصدهم، وكثرة رحلاتهم، وسؤالهم عن الرجال، وكذلك عُرف عنهم أنهم من أشد الناس إنكاراً على أهل البدع، فمحال مع هذا أن يظهر القول وينتشر ولا يوجد مخالف، حتى إن بعض الأصوليين نظراً لقوة هذه الحجة، ذهب إلى أن الإجماع السكوتى حجة في الاعتقادات دون الأحكام؛ لأنه يجب الإنكار في العقائد دون الأحكام.

أما إجماع المتكلمين وهو الإجماع النطقى (اتفاق مجتهدي الأمة جميعهم عليه نطقاً، بمعنى أن كل واحد منهم نطق بصريح الحكم في الواقعة)، فهو من قبيل المستحيل الذي لا يمكن تحقيقه في الواقع^(٣)؛

(١) ينظر لكلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٦٧ / ١٩).

(٢) كالصلوات والصوم، والزكاة، وكثير من المسائل فيها، وهذا ذكره الشافعي في كتابه الأم (٢٩٥ / ٧).

(٣) ينظر: للاستزادة: دعاوى الإجماع عند المتكلمين في أصول الدين، ياسر الحياى (ص: ٤٥ وما بعدها).

فهو يختلف عن إجماع السلف؛ لأن المتكلمين في أصول الفقه تأثروا بعلم المنطق الأرسطي، وهو علم تجريدي تنظيري، وليس تطبيقي، أو واقعي، ركّز على علم الكليات الموجودة في الظن دون الواقع^(١)، وهم أيضاً قد اختلطت عليهم المسائل بسبب خوضهم في مسائل عقلية.

الوجه الثاني: أنه من حيث الشروط المتعلقة بالناقل للإجماع يختلف عن إجماع المتكلمين؛ لأن السلف قد اشترطوا ما يلي:

١- أن يكون من أصحاب الاعتقاد السليم، أما المتكلمون فلم يراعوا هذا الشرط.

٢- أن يكون من أصحاب القرون المفضلة^(٢).

وبناءً على هذا التقرير فإنه لا ينظر مثلاً إلى كلام أهل الأهواء، أو من خالف أهل السنة في مسائل العقيدة على أنه حارم للإجماع^{(٣)(٤)}، بل يكون المرجع إلى أقوال السلف في ذلك قال شيخ الإسلام

(١) للاستزادة عن هذه العلاقة ينظر: مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه، د. خالد بن عبد اللطيف محمد (١/ ٤٥-٤٦). وعلاقة علم أصول الفقه بعلم المنطق، وائل بن سلطان الحارثي (ص: ٣٨١-٥١٦).
(٢) ينظر: دعاوى الإجماع عند المتكلمين في أصول الدين، ياسر اليحيى (ص: ٨٩-٢٠٩).

(٣) ينظر: مسائل العقيدة التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (ص: ٦٦).
(٤) وهناك أمثلة كثيرة تبين مخالفة المتكلمين لإجماعات السلف، منها أن بعضهم ادعى الإجماع على تسمية الله (بالقديم)، وهو لا يصح. وكذلك تسمية الله بالموجود والواجد والصانع والمريد والمتكلم. وذكروا أيضاً إجماعات في تأويل بعض الصفات، وهي أيضاً مدّعاة لا تصح مثل صفة العين، واليد، وغيرها. كما زعم ابن قطان في الإقناع في مسائل الإجماع (٣٩)، والتفتازاني في شرح العقائد النسفية (ص: ٩٣).

(٧٢٨هـ): (فإن المقصود أن الحق دائماً مع سنة رسول الله ﷺ وآثاره الصحيحة، وإن كان كل طائفة تضاف إلى غيره إذا انفردت بقول عن سائر الأمة، لم يكن القول الذي انفردوا به إلا خطأ، بخلاف المضافين إليه أهل السنة والحديث: فإن الصواب معهم دائماً، ومن وافقهم كان الصواب معه دائماً لموافقته إياهم، ومن خالفهم فإن الصواب معهم دونه في جميع أمور الدين: فإن الحق مع الرسول ﷺ فمن كان أعلم بسنته وأتبع لها كان الصواب معه، وهؤلاء هم الذين لا ينتصرون إلا لقوله، ولا يضافون إلا إليه، وهم أعلم الناس بسنته وأتبع لها، وأكثر سلف الأمة كذلك، لكن التفرق والاختلاف كثير في المتأخرين، والذين رفع الله قدرهم في الأمة هو بما أحيوه من سنته ونصرته)^(١).

المطلب الثاني:

التسليم لله ولرسوله ﷺ

قال -تعالى-: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

وقال -تعالى-: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

والآيات كثيرة، أما ما جاء في السنة فمنها:

(١) منهاج السنة النبوية (٥ / ١٨٢).

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله...»^(١)، والأحاديث كثيرة لا يمكن حصرها، أما ما جاء عن السلف فكثير جدًا نختار من أقوالهم ما يلي:

قال الإمام مالك (١٧٩هـ) - مبينا أهمية اتباع الكتاب والسنة -:

(من أراد النجاة فعليه بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ)^(٢).

ومما ينقل عن الأئمة الأربعة أنهم قالوا: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)^(٣) أو نحو هذه العبارة^(٤).

وقال الفضل بن زياد (٢٤١هـ): سمعت أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (نظرت في المصحف، فوجدت فيه طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا، ثم جعل يتلوا هذه الآية: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيف، فيزيغ فيه لعله، وجعل يتلوا هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَقَّ يُحْكُمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال: من رد حديث النبي ﷺ فهو على شفا هلكة)^(٥).

-
- (١) أخرجه البخاري (٧١٣٧).
- (٢) أورده الهروي في ذم الكلام وأهله (٨٧٧).
- (٣) الدر المختار وحاشية ابن عابدين رد المحتار (١/ ٣٨٥)، ومناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه (ص: ٣٠).
- (٤) ينظر: مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٧٢)، والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص: ٨٢)، وذم الكلام وأهله للهروي (٤٠٤)، وإعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٧٩).
- (٥) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٩٧) (١/ ٢٦٠)، والطبوري في الطيوريات (٤/ ١٣٧٧).

المطلب الثالث:

الموافقة للفطرة والعقل السليم

عقيدة السلف تبعث النور والهداية، كما قال - تعالى - : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا^١ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ^٢ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا^٣ وَإِنَّكَ لَنَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وتخطب العقل، قال - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥]، وموافقة للفطرة، قال - تعالى - : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا^٤ فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، والفطرة تعني عند عامة السلف: الإسلام^(١)، ولا يعني ذلك أنه يولد بمعرفة تفصيلية بالإسلام، وإنما المقصود أن الفطرة تقتضي بذاتها التوحيد ما لم يمنعها مانع^(٢)، أي: أن الإنسان يولد سليما من الكفر ومن الاعتقادات الباطلة مع قابلية للعقائد الصحيحة^(٣)، دل على ذلك: حديث أبي هريرة : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»^(٤)، وحديث عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم...»^(٥).

(١) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٧٢).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٤ / ٢٤٧).

(٣) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٧٧)، وموسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (٥ / ٢٢٩٤).

(٤) تقدم تخريجه قريبا.

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

وأما العقل فقد تقدم ذكر موقف أهل السنة منه، لكن أضيف هنا أن العقيدة السليمة تُعمل العقل في محله، وهي وسط بين عقيدة المتكلمين والصوفية إذ هما على طرفي نقيض؛ فالمتكلمون جعلوا العقل في منزلة الوحي، في حين جعل الصوفية القلب محلاً للوحي، ومن بينهما خرج الطريق الوسط الذي سلكه أهل السنة؛ إذ لم يبالغوا في منزلة العقل، ولا في منزلة القلب، بل أنزلوهما المنزل الصحيح كما دل الشرع على ذلك.

المطلب الرابع:

الثبات والاستقرار والسلامة من الاضطراب

امتاز أهل السنة بثباتهم على المحجة الواضحة، لسلامة مصادر التلقي بفهم الصحابة والسلف، مع سلامتهم من الاضطراب، وهذا مأثور عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقد جاء أن أبا مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخل على حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أوصنا يا أبا عبد الله، فقال حذيفة: «أما جاءك اليقين؟»، قال: بلى وربّي، قال: «فإن الضلالة حق، الضلالة أن تعرف اليوم ما كنت تنكر قبل اليوم، وأن تنكر اليوم ما كنت تعرف قبل اليوم، وإياك والتلون فإن دين الله واحد»^(١).

وقال إبراهيم النخعي (٩٦هـ): كانوا (يكرهون التلون في الدين)^(٢)، وقال أيضاً: كانوا يرون التلون في الدين من شك القلوب

(١) أخرجه معمر بن راشد في الجامع (٢٠٤٥٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٥).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٠٥ / ٢) (٥٧٤).

في الله^(١)؛ وهذا لأنهم تركوا الخصومات في الدين، قال عمر بن عبد العزيز: (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)^(٢).

المطلب الخامس:

هي سبب النصر والظهور والتمكين

العقيدة السليمة مع بذل الأسباب هي سبب النصر قال الله تعالى:- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، فقبل أن يحثهم على النصر وصفهم بالإيمان، فالنصر يجتمع فيه تصديق وعمل قلبي مع أثر عملي، ومن الأدلة قوله -تعالى-:- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَيْنَكُم مَّا تُحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥١﴾﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَثْبِكُمْ غَمًّا نِّغْمًا لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢-١٥٣]، فهذه الآيات تؤكد أن النصر الحقيقي يتحقق بالإخلاص لله سُبحانه وتعالى، وأن طاعة النبي ﷺ من أهم عوامل النصر.

ومما يؤكد تأثير العقيدة على حياة المسلم والمجتمعات أن النصوص جاءت حاثّة ومعينة على ربط الفرد المسلم بالعقيدة

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٠٥) (٥٧٥).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٠٦) (٥٧٧). وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣١) (١٧٧٠).

والتوحيد في كل الحياة، عبر الذكر والدعاء، وظهور العقيدة في الذكر أو الدعاء يكون عبر الآتي:

- ١- الرجاء، وذلك حين يرجو الإجابة لدعائه.
- ٢- الخوف، وذلك حين يخاف من عدم الاستجابة.
- ٣- التوكل والاعتماد عليه في قضاء الحوائج ونيل الرغبات.
- ٤- تعظيم ومحبة الله.
- ٥- ذكر المدعو باللسان ونداؤه والاستغاثة به.
- ٦- التواضع، وإظهار الفقر والعجز^(١).

المطلب السادس:

سبب للطمأنينة والراحة النفسية

وذلك أن الإيمان بالله والإقبال عليه لا شريك له يلبي حاجات المسلم النفسية وينفي عنه حالات الاضطراب والتشتت والقلق التي هي من أبرز عوامل الجريمة، ويحقق له الراحة النفسية، ويمنحه الهدوء، والاستقرار، ويصبح ذا خلق حسن في تعاملاته مع الأفراد الآخرين.

ومن جهة أخرى الإيمان يحث على الحياء، بل هو شعبة منه، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»^(٢). وفائدة الحياء إضافة إلى

(١) ينظر قريباً مما ذكرت: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، جيلان العروسي، (١/ ٢٩٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٧).

أنه من الإيمان أنه هو الأصل في الابتعاد عن كل اضطراب أو انحراف؛ لأن النبي ﷺ قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير»، وفي رواية: «الحياء خير كله»، وفي رواية: «الحياء كله خير»^(١)، وضد الحياء الجرأة على الحرمات ويقدم على كل قبيح كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِمَّا أدرك النَّاسُ من كلام النُّبُوَّةِ إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(٢).

وهذا الأثر من الحياء يدركه ويعرفه الخبراء والتربويون إذا كان خصلة، فكيف إذا كان معه إيمان! لا شك سيكون أثره أكبر وأعظم.

فالخلاصة أن العقيدة وما اشتملت عليه من أصول الإيمان الستة هي الوسيلة الأولى لتربية النفوس، وتهذيبها ومنعها من الانحراف والاضطرابات النفسية^(٣).

وبهذا تم الكتاب بعون الله وتوفيقه وذلك بتاريخ صباح الثلاثاء الثاني عشر من شهر صفر لعام ألف وأربعمئة واثنين وأربعين للهجرة النبوية، وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه مسلم (٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٤) من حديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: سياسة الوقاية والمنع من الجريمة في الإسلام، د. محمد الشنقيطي، ص ١٨-٢٠. (بحث غير منشور).

الفهرس

الموضوع الصفحة

مقدمة	٥
الفصل الأول: التعريف بالخصائص وبأهل السنة وأسمائهم وألقابهم عندهم وعند مخالفهم	١١
المبحث الأول: معنى الخصائص، والمراد بها	١٣
المطلب الأول: معنى الخصائص لغة	١٣
المطلب الثاني: معنى الخصائص اصطلاحاً	١٣
المطلب الثالث: المصطلحات المترادفة	١٤
المبحث الثاني: التعريف بالسنة وأهلها	١٥
المطلب الأول: تعريف السنة عند المحدثين والفقهاء والأصوليين	١٥
المطلب الثاني: نشأة مصطلح أهل السنة، وذكر من أطلقه من السلف ومرادهم به	١٧
المطلب الثالث: أسماء أهل السنة وألقابهم المرضية الواردة في النصوص، ودفع الباطل عنها	٢٤

- المطلب الرابع: الألقاب التي نبز بها أهل البدع أهل السنة، والرد
عليهم ٣٢
- الفصل الثاني: خصائص أهل السنة ٣٧
- المبحث الأول: خصائص أهل السنة المتعلقة بالتسمية ٤١
- المبحث الثاني: خصائص أهل السنة في مصادر التلقي ٤٣
- المطلب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة ٤٣
- المطلب الثاني: العناية بالإسناد ٤٥
- المطلب الثالث: اعتماد فهم السلف للنصوص، واعتقاد أنها أسلم
وأحكم ٤٦
- المطلب الرابع: اعتبار العقل مؤيدا للنصوص لا معارضا ولا مستقلا ٤٨
- المبحث الثالث: خصائص أهل السنة في منهج الاستدلال ٥٣
- المطلب الأول: الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة ٥٣
- المطلب الثاني: ترك المراء والخصومات والجدل المذموم ٥٤
- المطلب الثالث: عدم التفريق بين خبر الآحاد والمتواتر في العقيدة
وغيرها ٥٥
- المطلب الرابع: التزام النص وطرح التأويل المذموم ٥٨
- المطلب الخامس: الالتزام بالألفاظ الشرعية وترك الألفاظ
المجملّة والاستفصال في المطلق منها ٦٢

- المبحث الرابع: خصائص أهل السنة في باب التوحيد ٦٤
- المطلب الأول: حرصهم على التوحيد ونشر العقيدة الصحيحة .. ٦٤
- المطلب الثاني: البداية بالتوحيد ٦٧
- المطلب الثالث: اتباع السنة والدعوة إليها، واجتناب البدع والتحذير منها ٦٩
- المبحث الخامس: خصائص أهل السنة في باب الجماعة والائتلاف ٧٠
- المطلب الأول: الاتفاق في الأصول على امتداد الزمن واختلاف
الأمكنة ٧١
- المطلب الثاني: موالاتهم ومعاداتهم على أساس الدين ٧٤
- المطلب الثالث: المحبة والرحمة بينهم ٧٦
- المطلب الرابع: اجتناب التبديع والتكفير لبعضهم بعضا وحرصهم
على الألفة والاجتماع ونبذ الفرقة ٧٧
- المبحث السادس: خصائص أهل السنة في باب الإمامة ٧٩
- المطلب الأول: يعتقدون وجوب السمع والطاعة لولي الأمر
المسلم في غير معصية ٧٩
- المطلب الثاني: يحرمون الخروج على الإمام المسلم ويحذرون من
ذلك، ويصبرون على جور السلطان ويرون الصلاة خلفه والجهاد
معه برًا كان أو فاجرًا ٨٠

المطلب الثالث: يرون جمع الكلمة على الإمام مع وجوب النصح له والدعاء للإمام بالصلاح والسداد ٨٤

المبحث السابع: خصائص أهل السنة في باب معرفة الحق والثبات عليه ٨٦

المطلب الأول: أعرف الناس بالحق والحرص عليه وأعظمهم صبراً وثباتاً على الحق ٨٦

المطلب الثاني: أنهم القائمون بنقل الدين وحفظه والدعوة إليه .. ٨٧

المطلب الثالث: هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة ٨٨

المبحث الثامن: خصائص أهل السنة في العبادة والسلوك ٩٠

المطلب الأول: التمسك بالسنة ومجانبة البدع ٩٠

المطلب الثاني: تقديم الفرائض على النوافل لا العكس ٩٢

المطلب الثالث: الاعتدال والبعد الغلو والجفاء ٩٢

المطلب الرابع: التحلي بأخلاق الشريعة وآداب الإسلام ٩٣

الفصل الثالث: وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق وخصائص عقيدتهم ٩٧

المبحث الأول: تعريف الوسطية ٩٩

المطلب الأول: معنى الوسطية في اللغة والشرع ٩٩

المطلب الثاني: وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق وأبرز مظاهرها	١٠٠.....
المبحث الثاني: خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة	١٠٤.....
المطلب الأول: سلامة مصدر التلقي	١٠٤.....
المطلب الثاني: التسليم لله ولرسوله ﷺ	١١١.....
المطلب الثالث: الموافقة للفطرة والعقل السليم	١١٣.....
المطلب الرابع: الثبات والاستقرار والسلامة من الاضطراب	١١٤.....
المطلب الخامس: هي سبب النصر والظهور والتمكين	١١٥.....
المطلب السادس: سبب للطمأنينة والراحة النفسية	١١٦.....
الفهرس	١١٩.....



